١٩٥٧/٧/١

حديث الرئيس جمال عبد الناصر

فى التليفزيون البريطانى

سؤال: ما شعوركم نحو بريطانيا الآن؟

الرئيس: لقد مرت علاقاتنا ببريطانيا بمرحلة سيئة، وكانت ظروفها مؤسفة، ومع ذلك فدعونا نأمل أن يجيء يوم، تعود فيه العلاقات الطيبة بين الشعبين.

سؤال: هل ترغبون فى استئناف العلاقات العادية مع بريطانيا؟

الرئيس: أظن أن ذلك سيحدث فى يوم من الأيام، وعلى أى حال فإن واجب كل من البلدين أن يحاول من ناحيته التمهيد لحدوث ذلك.

سؤال: هل هناك شيء يمكن أن تقولوه عن مصالح الرعايا البريطانيين وأملاكهم التى صودرت فى مصر؟

الرئيس: ليس صحيحاً أننا صادرنا ممتلكات بريطانية، وإذا كانت بعض المنشآت البريطانية تم تمصيرها فذلك شيء آخر، ولقد كان ذلك أحد الموضوعات التى نوقشت فى المباحثات التى جرت مع بريطانيا فى روما، وأظنه سيناقش مرة أخرى.

سؤال: ما رأيكم فى موضوع البريطانيين، الذين كانوا متهمين فى قضية الجاسوسية، واستمر اعتقالهم بضعة أيام، بعد أن أصدرت المحكمة حكمًا ببراءتهم؟

الرئيس: كان ذلك إجراءً قانونيًّا بحتاً، إن القانون يتطلب إبقاءهم بعض الوقت بعد حكم البراءة، حتى تتاح الفرصة للنائب العام أن يستأنف الأحكام أمام القضاء العالى، إذا رغب فى ذلك.

سؤال: هل نستطيع أن نسألكم عن السد العالى، الذى تسببت أزمة تمويله فى كل ما جرى؟ إن رئيس وزراء بريطانيا قدر تكاليفه بنحو ٣٧٥ مليون جنيه، والسؤال الذى نوجهه لكم: ماذا تم فى هذا المشروع؟

الرئيس: إن السد العالى ضرورة لازمة لمصر، إنه جزء كبير من الخطة التى رسمناها لوطننا، هذه الخطة التى تستهدف توفير مزيد من الغذاء، وتوفير مزيد من فرص العمل لمواطنينا، لقد صممنا على بناء هذا السد؛ لكى تزيد مساحة الأرض المنزرعة فى وطننا، وبذا يرتفع مستوى معيشتنا. ولقد قررنا أن نعتمد على أنفسنا فى بنائه، ولكى نستطيع أن ننهض بهذا العمل قسمنا العملية إلى مرحلتين: أولاهما مرحلة بناء السد نفسه، والثانية مرحلة كهربته. وفى تقديرنا أن المرحلة الأولى سوف تتكلف خمسين مليوناً من الجنيهات، وستكون الفائدة التى تجنيها مصر من بعد تنفيذ هذا هى مليون فدان جديدة.

سؤال: من أين ستجىء هذه الخمسون مليوناً من الجنيهات؟

الرئيس: من رسوم المرور فى قناة السويس طبعاً.

سؤال: ألا يؤثر ذلك فى المبالغ، التى يمكن أن تخصص لتحسين القناة نفسها؟

الرئيس: لقد خصصنا لمشروعات تحسين القناة ٢٥ فى المائة من دخلها، كان ذلك تعهداً قطعناه على أنفسنا، وسوف نفى به، ولكن بقية دخل القناة سوف نستطيع به مواجهة نفقات بناء السد العالى.

سؤال: هل كان هناك عرض روسى لتمويل السد العالى؟

الرئيس: كان هناك عرض مبدئى لم تناقش تفاصيله، ذلك أنه قبل أن يعلن "المستر دالاس" سحب عروض المساعدة فى تمويل السد العالى كنا قد قلنا للروس: شكراً. إننا لم نناقش معهم التفاصيل؛ لأننا كنا فى مفاوضات مع الغرب ومع البنك الدولى، وحين تراجعت الولايات المتحدة، ووراءها بريطانيا ثم البنك الدولى، وجدنا أن خير ما نستطيعه هو أن نعتمد على أنفسنا.

سؤال: ما موقفكم تجاه السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط الآن، أو بتعبير أدق ما موقفكم تجاه مشروع "أيزنهاور"، الذى يستهدف مقاومة الشيوعية فى الشرق الأوسط؟

الرئيس: إن تجربتى الخاصة أقنعتنى بنتيجة هامة، تلك هى أن الشيوعية أمكن عزلها تماماً بانتهاج سياسة وطنية، وأن شعوب الشرق الأوسط لها أمانيها القومية، والتيار الأصيل بين هذه الشعوب هو تيار الوطنية وليس تيار الشيوعية، ولكن الأمريكيين لم يستطيعوا رؤية هذه الحقيقة، فراحوا يقاومون الوطنية وهم يتظاهرون بمقاومة الشيوعية، ومن سوء الحظ أنهم بهذه السياسة يدفعون الوطنية إلى أن تتحول إلى حركات سرية، تحت الأرض تتسرب إليها الشيوعية.

سؤال: لماذا تحاربون الشيوعية فى الداخل وتتعاونون معها فى الخارج؟

الرئيس: إن الشيوعية فى مصر ممنوعة بحكم القانون، ولكن الشيوعية فى مصر شىء والعلاقات مع روسيا شىء آخر، إننا ننشد صداقة الجميع، ونريد أن نتعاون مع كل أقطار الأرض لدفع شبح الحرب وتدعيم إمكانيات السلام، وعلى أى حال فنحن ضد أى سيطرة، مهما كان مصدرها على الشرق الأوسط.

سؤال: لماذا تصرون على شراء الأسلحة، ألا يكلفكم ذلك أموالاً طائلة؟

الرئيس: إن بناء جيش وطنى للدفاع عن مصر ليس مجرد مسألة شراء سلاح، إننا نريد أن ندافع عن أنفسنا وذلك حق مشروع، ولقد اتضحت النوايا العدوانية المتربصة بنا، فى حين تحقق أنه ليست لدينا أى نوايا عدوانية.

سؤال: والغواصات التى وصلتكم أخيراً؟

الرئيس: هل تسمح لى أن أسألك، لماذا لا تكون لدينا غواصات؟! لماذا لا يكون من حقنا أن ننشئ لبلدنا قوة بحرية تحمى شواطئها؟ إن الضجة التى قامت حول هذه الغواصات ضجة مفتعلة، أثارتها إسرائيل التى تتجه دعايتها إلى أن تزيد من توسيع الهوة بين الشعوب العربية وبين الغرب؛ فإن اتساع هذه الهوة يناسب أغراضها.

سؤال: هل مازالت سياستكم هى منع السفن الإسرائيلية من المرور فى قناة السويس؟

الرئيس: إن موضوع مرور السفن الإسرائيلية فى قناة السويس لا يمكن فصله مطلقاً عن مشكلة فلسطين، وصدقنى إننى لا أفهم لماذا يتأجج الاهتمام عندكم كالنار بمشكلة مرور السفن الإسرائيلية فى قناة السويس، بينما مشكلة حق اللاجئين الفلسطينيين فى وطنهم تقابل عندكم ببرودة الثلج.

سؤال: ولكن ألم يقرر مجلس الأمن سنة ١٩٥١ أن منع السفن الإسرائيلية فى قناة السويس لا يتفق مع روح اتفاقية الهدنة؟

الرئيس: كان ذلك مجرد رأى قانونى يحتمل المناقشة، أما الحقيقة التى لا تحتمل المناقشة فهى أن الأمم المتحدة قررت عودة اللاجئين إلى بلادهم، ومع ذلك فإن إسرائيل أنكرت، وما زالت تصر على إنكار هذه الحقيقة!

أما من ناحيتنا نحن؛ فقد كنا نمنع سفن إسرائيل من المرور فى قناة السويس تطبيقاً للمادة العاشرة من اتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨، وهى

المادة التى تقرر حق مصر فى اتخاذ ما تراه مناسباً لـصيانة أراضـيها؛ هنالك إذاً حق مصر فى صيانة أرضها، وهناك حق مليون فلسطينى فـى استعادة أراضيهم.

سؤال: هل أنتم على استعداد للاعتراف بإسرائيل كدولة ذات سيادة؟

الرئيس: إن المسألة فى رأيى ليست مـسألة الاعتـراف أو عـدم الاعتـراف بإسرائيل، إن المشكلة كما أراها ليست إسرائيل وإنما فلسطين، إن الـذى نهدف إليه هو أن تعاد إلى أهل فلسطين حقوقهم وبيوتهم وأراضيهم.

سؤال: ولكن "بن جوريون" يكرر كل يوم عروضه لإقرار السلام.

الرئيس: إن "بن جوريون" لا يتكلم عن السلام إلا لكى يتخذ منه ستاراً ينفذ مـن ورائه سياسته العدوانية. دعنى أذكرك بأنه قبل سبعة أيام مـن العـدوان على مصر ألقى "بن جوريون" إحدى خطبه التى ينادى فيها بالسلام، وفى العام الماضى أعلن "بن جوريون" ذات مساء أنه يريد أن يقـابلنى لكـى يتفاهم معى، وفى الفجر التالى كانت قواته تهاجم أحد مواقعنا!

سؤال: ألا يمكن أن تغيروا فى التصريح الذى أودعته مصر فى مجلس الأمـن بشأن قناة السويس، ليصبح أكثر ملاءمة مع النقاط الست التـى أقرهـا مجلس الأمن؟

الرئيس: أعتقد أن هذا التصريح، كما هو، يتفق مع فهمنا نحن لهذه النقاط الست.

سؤال: ولكن رئيس وزراء بريطانيا قال إن هذا التصريح من جانب واحد، وأنه باستطاعة مصر أن ترجع فيه.

الرئيس: لقد سجلنا هذا التصريح فى الأمم المتحدة كوثيقة دولية.

سؤال: هل معنى هذا أن مصر لا تستطيع أن ترجع فى هذا التصريح؟

الرئيس: إن هذا مستحيل، ثم لماذا نرجع فيه؟.. ولأى سـبب؟.. هـل لإثـارة المشاكل من جديد؟! ذلك ليس قصدنا، إننا نريد أن نقـيم نظامـاً يكفـل

التعاون الدولى، ولسنا نريد نظاماً يفرض سيطرة دولية؛ سواء كانت سيطرة دولية واحدة أو كانت مجموعة من الدول الكبرى.

سؤال: هل تعتقدون أن الشعب المصرى يساند سياستكم؟

الرئيس: حسب المعلومات التى جمعتموها أنتم قبل الهجوم على مصر، كان المفروض أن تنشب ثورة ضد الحكومة فى مصر مساء بدء هجومكم عليها، وأنا أريدك أن تعرف أننا وزعنا أربعمائة ألف قطعة من السلاح على المواطنين لاستعمالها فى المقاومة الشعبية، ثم جمعناها بعد انحسار موج العدوان؛ أليس ذلك دليلاً على الثقة المتوفرة بين الشعب وبين الحكومة.

سؤال: إن بعض صحف الغرب تقول إن عدداً من الذين رشحوا أنفسهم للانتخابات القادمة شُطبت أسماؤهم، فما هو تعليقكم على ذلك؟

الرئيس: كان لابد أن نتأكد أن جميع المرشحين يتلاءمون مع الخطوط العريضة التى ارتضاها الشعب المصرى واختطها لمستقبله، وكذلك أن تكون فى طاقتهم المشاركة بنصيب موفور فى صنع هذا المستقبل، ولقد كان فى بلادنا فراغ سياسى أوجدته التجارب القاسية التى مر بها وطننا بما فيها تحكم الاحتلال، واستبداد القصر، وتناحر الأحزاب.

ولقد كان علينا أن نحتاط، ونحن نتخذ الخطوة الأولى فى طريق ملء الفراغ السياسى، ودعنى أذكرك بما فعلته أمريكا أيام "جورج واشنطن" فى أول انتخابات بعد الاستقلال الأمريكى؛ كان قد منع قيام الأحزاب فى أمريكا، وكان هناك تنظيم قريب الشبه من نظام الاتحاد القومى.

سؤال: نعود إلى الحديث عن العرب، هل ترون إمكان قيام تعاون بين الدول العربية؟

الـــرئيس: لا مفر من هذا التعاون؛ لأنه ضرورة تحتمها الظروف، وإذا تعـــاون العرب سوف يتمكنون من الدفاع عن أنفسهم، وإذا تفرقوا فسوف يسيطر عليهم غيرهم.

سؤال: ماذا تعرفونه عن العلاقات بين مصر والأردن الآن؟

الرئيس: هناك بعض الصعوبات، إن فى الأردن من يقول إننـــا اشـــتركنا فـــى مؤامرات! وذلك كله غير صحيح.

سؤال: وماذا تعرفونه عن علاقاتكم بالمملكة العربية السعودية؟

الرئيس: إن علاقتى بالملك سعود طيبة، ولكن ذلك لم يمنع من يريدون الـــسعى بالوقيعة أن يحاولوا إثارة الشكوك.

سؤال: هل يضايقكم أن يكون الملك سعود ذو ميول أمريكية؟

الرئيس: إن ميول الملك سعود لابد أن تكون عربية.

١٩٥٧/٧/٩

حديث الرئيس جمال عبد الناصر

إلى "ويلبر لاندى" مدير مكتب وكالة "يونايتد بريس" فى الشرق الأوسط

سؤال: إن الشهر الحالى هو العيد الخامس للثورة المصرية، وقد أجريت انتخابات جديدة وسيجتمع البرلمان فوراً، فماذا تعتقدونه أكبر الأعمال فى السنوات الخمس القادمة؟

الرئيس: إن مهمتنا الرئيسية ستكون العمل على رفع مستوى المعيشة بين الشعوب، فنحن نواجه صعوبة من جراء ازدياد عدد السكان، وفى الوقت نفسه فإن لدينا فراغاً سياسيًّا؛ ترتب على حل الأحزاب جميعًا، وإنى أعتقد أنه فى خلال الأعوام الخمس القادمة علينا أن نبنى حياة سياسية جديدة ونظيفة.

سؤال: وهل ستبزغ معارضة وأحزاب سياسية فعلاً فى مجلس الأمة؟

الرئيس: إننا كما قلت لك قد حللنا جميع الأحزاب القديمة؛ بسبب الفساد والإقطاع، وأعتقد أننا بهذا البرلمان سندخل فى تجربة، وسيكون عندنا زعماء جدد ووجوه جديدة، وسيكون هناك بالطبع اتفاق أو خلاف فى البرلمان، فماذا ستكون النتيجة؟ ستكون هناك معارضة منظمة، وإننى أفضل أن أنتظر لأرى، ولكن لابد أن يبزغ شىء ما من مناقشة ٣٥٠ شخصًا لأحد الموضوعات.

سؤال: لماذا رفض الاتحاد القومى ترشيح كثير من الأشخاص الذين أرادوا دخول المعركة الانتخابية؟

الرئيس: أنت تعرف أن لنا أفكارنا الخاصة عن الديمقراطية، لقد استخدمت أقلية الإقطاعيين والملاك الديمقراطية من قبل للسيطرة على الشعب، إننا نريد بناء حياة سياسية نظيفة، إننا نريد أن نضمن قيام أول خطوة للديمقراطية الجديدة على أساس سليم للحياة السياسية. ولنذكر ما حدث فى الولايات المتحدة بعد حرب التحرير، وما قاله الرئيس "واشنطن" بعد الاتفاق على الدستور عام ١٧٨٨، لقد خشى من قيام الأحزاب فى هذه المرحلة، وأراد أن يوحد البلاد، وقال إن الأحزاب يمكن أن تؤدى إلى حرب أهلية. ولقد نظمت الأحزاب فى الولايات المتحدة بعد مرور عشرين عامًا على الموافقة على الدستور، ونحن نريد أن نتأكد أيضًا من استتباب الأمور، كما حاولتم أنتم بعد ثورتكم.

سؤال: يقال أحياناً إنه بالرغم من أنك تحارب الشيوعية فى بلادك، فإن سياسة الحياد الإيجابى التى تتبعها قد فتحت الباب أمام تسرب النفوذ السوفيتى فى الشرق الأوسط، فما رأيك فى هذه المزاعم؟

الرئيس: إننى لا أعتقد أبدًا أن سياسة عدم الارتباط التى تتبعها مصر قد فتحت الطريق أمام السوفييت فى الشرق الأوسط. إن الشرق الأوسط يهدف إلى الاستقلال وتحقيق الأمانى القومية، وعندما يحاول الغرب أحياناً محاربة الوطنية؛ نجد الشعوب تعارض هذا الاتجاه، وحينئذ يقولون إن ذلك يفتح الباب أمام الروس فى الشرق الأوسط، وأريد أن أؤكد أن الهدف الرئيسى لشعوب الشرق الأوسط هو السيادة والاستقلال.

سؤال: ما الذى تسبب فى إفساد العلاقات الطيبة، التى كانت قائمة بين مصر والولايات المتحدة أثناء السنوات الأولى من الثورة؟

الرئيس: إننى أعتقد أن السبب الرئيسى هو إسرائيل، فبسبب إسرائيل رفضت الولايات المتحدة إمداد مصر بالأسلحة، وفى بداية سنة ١٩٥٣ وافقت الولايات المتحدة على إمداد مصر بالسلاح؛ وكنا نحتاج حينئذ إليه من أجل إعداد جيشنا، ثم رفضت الولايات المتحدة تنفيذ الاتفاقية؛ بسبب جهود إسرائيل فى الولايات المتحدة لمنع هذا الإمداد، وحاولنا شراء الأسلحة من الولايات المتحدة ولكنهم رفضوا، وقالوا إنهم مستعدون لإعطائنا أسلحة، ولكن يجب علينا أن نقبل وجود بعثة عسكرية؛ ورفضنا قبول البعثة العسكرية؛ لأننا عانينا تجربة مريرة من البعثة البريطانية فى الجيش المصرى. واستطاعت إسرائيل فيما بعد أن تحصل على السلاح – وخاصة من فرنسا – وبكميات كبيرة، ولم يكن فى مقدورنا أن نحصل على الأسلحة التى نحتاج إليها للدفاع عن أراضينا ضد أى هجوم إسرائيلى، وهكذا طلبنا من روسيا إمدادنا بالسلاح، وكانت هذه نقطة تحول أخرى فى علاقاتنا مع الولايات المتحدة.

سؤال: ما الأمور التى أنت على استعداد للقيام بها لتحسين علاقاتك مع الولايات المتحدة؟ وما الذى تعتقد أن على الولايات المتحدة أن تفعله كذلك؟

الرئيس: نحن على استعداد من جانبنا لعمل أى شىء ماعدا التخلى عن استقلالنا وسيادتنا، لاسيما فيما يختص بالعلاقات التجارية وجميع المسائل الأخرى، ولكن من ناحية أمريكا فإننا نجدها تجمد أموالنا، وتوقف معاملاتها التجارية مع مصر، وتحاول فرض ضغط على مصر، فإذا تغيرت هذه السياسة فإنى أعتقد أنه سيكون هناك علاقات أفضل.

سؤال: إن الرئيس الأمريكى "أيزنهاور" صَرَّحَ بأن بيع الغواصات إلى مصر قد بعث التوتر إلى الشرق الأوسط؛ فما هو شعورك بصدد هذه المسألة؟ وهل تعتزم مصر شراء مزيد من الأسلحة الروسية؟

الرئيس: إننا قد أعلنا سياستنا وقلنا إننا نشترى الأسلحة لغرض الدفاع عن أنفسنا ضد العدوان فحسب، وأنتم تذكرون أننا تعرضنا للهجوم من جانب بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى أكتوبر الماضى، وإن كل ما يمكننى أن أقوله هو أن هذه الأسلحة ستستخدم للدفاع عن سواحلنا ضد العدوان، وبالطبع لا يمكننى أن أقول لك سياستنا فى المستقبل بشأن شرائنا للأسلحة من أى مكان.

سؤال: هل ستمضى مصر فى السماح لقوة الطوارئ الدولية بالعمل فى أراضيها، على حين تواصل إسرائيل رفضها السماح للقوة الدولية بالعمل فى جانبها من خط الهدنة؟

الرئيس: إننا طبعًا قد طلبنا من الأمم المتحدة العمل على جانبى خطوط الهدنة، ولقد تقرر ذلك، ولكن إسرائيل رفضت. إن سياستنا – مما هو فى صالح السلام – ما زالت تتلخص فى السماح لقوة الطوارئ الدولية بالعمل على خط الهدنة داخل الأراضى المصرية.

سؤال: ماذا يجب أن يتم حتى تستأنف كل من بريطانيا ومصر علاقتهما الطبيعية؟ وما الفترة التى تعتقدون أنه يمكن أن يستغرقها ذلك العمل؟

الرئيس: أعتقد أننا سنستأنف محادثاتنا فى روما فى خلال عشرين يوماً، وسوف ترسل بريطانيا بعثة إلى مصر تقوم بالتفتيش على ممتلكاتها، ولا يمكننى أن أتنبأ بالوقت اللازم الذى تستأنف بعده العلاقات الطبيعية.

سؤال: هل تعتقدون أن من الممكن إعادة العلاقات الطبيعية مع فرنسا فى المستقبل القريب؟ وما شروط ذلك؟

الرئيس: إن بنك فرنسا – ممثلاً فى مديره – قد طلب إجراء مفاوضات مع مصر بشأن المسائل الاقتصادية، وأعتقد أنه سيتم ذلك قريباً، ولكن لا يمكننى أن أتنبأ بالفترة التى ستعود بعدها العلاقات الطبيعية.

سؤال: هل يجب تسوية الممتلكات الموضوعة تحت الحراسة، قبل استئناف العلاقات الطبيعية مع بريطانيا؟

الرئيس: أعتقد أن بريطانيا تريد أن تتثبت من أن ممتلكاتها فى مصر لم تصادر، ولهذا السبب سوف ترسل هذه البعثة.

سؤال: هل تعتقد أن هناك قيودًا على المساعدة التى يعرضها مبدأ "أيزنهاور"، ولهذا السبب فهو غير مقبول؟

الرئيس: بالطبع هناك قيود، وهى القيود السياسية التى يتعهد بها من يقبل مبدأ "أيزنهاور"، وهى الانحياز إلى الغرب. ومصر تنتهج سياسة عدم الانحياز لأحد، إننا نريد أن نقرر سياستنا هنا فى مصر لا فى أى بلد أجنبى آخر؛ ولهذا فإننا رفضنا مشروع "أيزنهاور".

سؤال: هل تعتقدون أن الدول العربية الأخرى لها الحق فى قبوله؟

الرئيس: إن لكل دولة عربية أن تقرر سياستها، وعلى كل حكومة أن تقرر ما إذا كانت تقبل مشروع "أيزنهاور" أم لا.

سؤال: أهناك أية شروط لكى تعترف مصر والدول العربية الأخرى بإسرائيل كدولة تعقد معها صلحًا رسميًا؟

الرئيس: أريد أن أذكرك بأن الدول العربية أعلنت فى مؤتمر باندونج أن سياستها هى وضع قرار الأمم المتحدة الصادر فى عام ١٩٤٧ فيما يتعلق بالحدود، كذا قرارها الصادر فى عام ١٩٤٨ خاصة بالمليون لاجئ عربى، وضع هذين القرارين موضع التنفيذ، وهذا هو ما تطلبه الدول العربية.

سؤال: إذا ما نُفِّذَ هذان القراران، فهل هناك احتمال فى الاعتراف بإسرائيل كدولة؟

الرئيس: ها أنتم ترون أننا لا نعترف بإسرائيل كدولة، وإنى أظن أننا نسبق الزمن بالكلام فى هذا الأمر.. إننا نريد أن توضع قرارات الأمم المتحدة موضع التنفيذ، ولكن الإسرائيليين أعلنوا أنهم لن يحترموا أياً من هذه القرارات؛ فرئيس وزراء إسرائيل قال مرات كثيرة: "إننا لن نوافق على عودة أى عربى أو أى فلسطينى إلى أرضه فلسطين".

سؤال: أترون سيادتكم وجود أى احتمال للوصول إلى حل وسط لمسألة اللاجئين؛ فقد كان هناك حديث عن إعادة توطين جزء من اللاجئين، على حين يُسْمَحُ لغيرهم بالعودة إلى ديارهم؟

الرئيس: إن سياستنا هى المطالبة بحقوق عرب فلسطين، ففى ديسمبر سنة ١٩٤٨ قررت الأمم المتحدة تكوين لجنة للتوفيق حول هذه المسألة، وقد أوصت أن تعمل اللجنة على تعويض العرب، وأن تحاول السماح لهم باستعادة حقوقهم. وقد اجتمع ممثلو كل الأطراف فى مدينة لوزان دونما نتيجة، ومازالت هذه اللجنة قائمة وموجودة، وهى مكونة من الولايات المتحدة، وفرنسا، وتركيا؛ ولهذا فإنى لا أستطيع أن أتكلم عن حل وسط أو غير وسط، فإن هذه المسألة تخص كل الحكومات.

سؤال: هل مصر راغبة فى أن تقبل حكم محكمة العدل الدولية، فيما إذا كان للسفن الإسرائيلية حق فى قناة السويس أو فى خليج العقبة؟

الرئيس: لقد أعلنت فى تصريحنا الأخير أن مصر توافق على تسوية أية مسألة تتعلق بقناة السويس على يد المحكمة الدولية، ولكن على الجانب الآخر أن يقر بالالتزام، ويجب عليه أن يوافق على حكم المحكمة.

سؤال: هل مصر ستوافق على حكم المحكمة فى حال موافقة إسرائيل عليه سلفاً؟

الرئيس: إن مصر ستوافق عليه بطبيعة الحال.

سؤال: إن "دالاس" ذكر منذ أيام أن الولايات المتحدة كان عليها أن تزود الأردن بمعونتها؛ لأن مصر وسوريا لم توفيا بالتزاماتهما لمعاونته، فهل ستعطى مصر الأردن العون فى ظل اتفاقية التضامن العربى؟

الرئيس: إن "دالاس" يحاول أن يجد عذرًا أمام الشعوب العربية للعلاقات الجديدة بين الأردن وإسرائيل والولايات المتحدة، وإذا نحن أعطينا معونتنا؛ فنحن نريد أن نكون على يقين من أن الظروف فى الأردن تضمن الوفاء بالاتفاقيات المعقودة بين الأردن ومصر لصالح أمن الدولتين.

سؤال: ما أثر تأييد الملك سعود للملك حسين على العلاقات بين مصر والسعودية؟

الرئيس: لم تتأثر هذه العلاقات بالشكل الذى صورته الصحف الأمريكية، لقد قمنا بمحادثات مع الملك سعود، وقد زار اللواء عبد الحكيم عامر المملكة السعودية، ولا أعتقد أن هناك خلافات رئيسية كما تشير الأنباء الواردة فى الصحف.

سؤال: هل هناك أى احتمال لدخول مصر فى مفاوضات مع شركة القناة القديمة لتسوية ما بينهما من نزاع؟

الرئيس: لقد قلنا فى إعلان تأميم القناة إننا مستعدون لتسوية الأمور عن طريق الاتفاق أو التحكيم؛ ولذلك يمكننى القول بأن هناك احتمالاً لذلك.

سؤال: هل ما أعلنته مصر بشأن إدارتها للقناة نهائياً؟ أم أنه من الممكن أن تقبل مصر - فى المستقبل - نوعًا ما من التشاور الدولى فى إدارة وتحسين الممر المائى إذا كان ذلك لا يتعارض مع سيادتها؟

الرئيس: لقد قلنا إننا مستعدون للمفاوضة فى شأن قانون القناة ودستورها، ولاشك أن على هيئة إدارة القناة أن تتصل بالشركات البحرية؛ من أجل وضع الخطط للمستقبل. إننا مستعدون للتعاون، ولكننا لسنا مستعدين لقبول أى تدخل تحت أى اسم.

سؤال: هل من الممكن عمل ذلك عن طريق هيئة المنتفعين؟

الرئيس: أنت تعرف أننا لم نعترف بهيئة المنتفعين كهيئة لها سلطة علينا في إدارة القناة، ولكننا على استعداد للتحدث مع المنتفعين كمستخدمين للقناة فقط.

سؤال: كم سيستغرق إنشاء خط أنابيب البترول المقترح على طول القناة؟

الرئيس: لقد قدر للعمل أن يستغرق سنة بعد انتهاء دراسة المشروع كله.

سؤال: لقد ازدادت تجارة مصر باطراد مع الكتلة السوفيتية، على حين اضمحلت تجارتها مع الغرب بعد الأحداث الأخيرة، فهل تعتقدون أن هذا الاتجاه سيستمر أو سيقل؟

الرئيس: إن هذا يتوقف على موقف الدول الغربية، وبالطبع إننا في مصر نواجه ضغطًا من الغرب الذي يريد أن يؤثر في اقتصادنا، ومن أجل التغلب على هذه المحاولات.. فنحن نفعل كل ما يمكن عمله؛ حتى نبيع محصولنا الرئيسي وهو القطن، ونستورد حاجاتنا، وبخاصة مطالبنا المتعلقة بالمشروعات الإنتاجية والبضائع الاستهلاكية والضرورية.

سؤال: ما حقيقة الادعاءات التي تفيد بأن دول الكتلة الشيوعية تبيع القطن المصري للأمم الأخرى أقل من الأسعار التي عرضتها مصر نفسها؟

الرئيس: لقد تحرينا عن هذا الأمر، ولكننا لم نتمكن من وجود ما يثبت صحة هذه الأنباء. وقد استفسرنا منهم فأكَّدوا لنا أنهم لا يبيعونه، ونحن على استعداد لبيع القطن لأسباب كثيرة بخصم يتراوح من ١٠ إلى ٢٠ في المائة، وهكذا لا يمكنهم منافستنا.

سؤال: هل تقوم مصر بمساعدة الجزائريين بالسلاح والمواد الأخرى؟

الرئيس: كما قلت من قبل إننا نعاونهم، ونحن نؤيدهم من الوجهة الأدبية، ونعطيهم المال، وخاصة اللاجئين منهم، ولكن فى الوقت الحاضر نحن لا نعطيهم أسلحة.

سؤال: ولنعد مرة أخرى إلى ثورتكم المصرية يا سيدى الرئيس، فما أهم الأحداث الخالدة بالنسبة لكم فى الأعوام الخمسة الماضية؟ وهل كانت هناك أية مؤامرات خطيرة أو أخطار محيقة بحكمكم فى ذلك الوقت؟

الرئيس: لقد كانت هناك بالطبع بعض المؤامرات، فقد كانت هناك محاولة لاغتيالى فى عام ١٩٥٤ بعد توقيع الاتفاقية مع بريطانيا، ولكنى أقول إنه لم تكن هناك مؤامرات خطيرة، أما الخطر الرئيسى الذى واجهنا خلال الأعوام الخمسة الأخيرة؛ فكان العدوان البريطانى – الفرنسى.

سؤال: إذا أتيح لمصر السلام فى المجال الدولى، فهل ستركز جهودها فى سبيل رفع مستوى معيشة الشعب؟

الرئيس: إن كل ما حدث خلال السنوات الخمس الماضية كان يعتبر من باب الدفاع أمام المحاولات والضغوط التى بذلت لتغيير سياستنا، ولإجبار مصر على انتهاج سياسة أخرى. إننا واجهنا الضغط بعد قيام حلف بغداد، ولم نواجه نحن فحسب، بل واجهته أيضًا بعض الدول العربية الأخرى. إننا طبعًا نريد توجيه جهودنا جميعاً لبناء بلادنا؛ برفع مستوى المعيشة فيها، وتلك كانت سياستنا دائمًا، ولكن فى عام ١٩٥٥ شرعت إسرائيل فى تهديدنا؛ ولذلك فإننا وجهنا جهودنا لتعزيز جيشنا، وأنا أعتقد أن العدوان الأخير الذى حدث فى شهر أكتوبر الماضى أثبت أننا كنا على صواب.

سؤال: ما ردُكم على المحاولات الغربية لفرض الحصار الاقتصادى على مصر لعزلها؟

الرئيس: أعتقد أنكم قرأتم تقريرنا الذى نشر مع الميزانية منذ يومين؛ لقد كان فى استطاعتنا فى خلال فترة الضغط الاقتصادى والحصار الاقتصادى أن

نجمع مبلغ ٢٣ مليون جنيه كاحتياطى من العملات الأجنبية الحرة، منذ شهر أكتوبر الماضى حتى الآن، وفى شهر أكتوبر الماضى لم يكن لدينا سوى ١٠ ملايين جنيه. أما مسألة عزل مصر فهى أمر مستحيل، إن مصر لا يمكن عزلها عن هذه المنطقة، وإذا نظرنا إلى التاريخ.. فإننا نجد أن محاولات كثيرة قد بذلت لعزل مصر، ولكنها أخفقت جميعًا. وما حدث حتى الآن هو عزل بعض الحكومات عن شعوبها، إننا نشعر بأن محاربة القومية لن تنجح، ولكن من شأنها أن تقوى شوكتها بمرور الزمن.

١٩٥٧/٧/٢٠

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى حفل تعارف بأعضاء مجلس الأمة من قصر القبة

■ إخوانى أعضاء مجلس الأمة:

اليوم يتحقق هدف عزيز من أهداف ثورة ١٩٥٢؛ هذا الهدف هو إقامة حياة ديمقراطية سليمة. كنت أشعر – كما كان إخوانى يشعرون معى – أننا نحتاج إلى تدعيم مجلس الثورة، وإلى إقامة مجلس جديد للثورة يسير بها لتحقيق أهدافها ولتدعيم مكاسبها. واليوم وأنا أرى أمامى مجلس الثورة الذى انبثق عن إرادة الشعب أشعر بالراحة وأشعر بالحمد لله؛ لإننا استطعنا أن نصل إلى تحقيق الهدف السادس من أهداف الثورة؛ وهو إقامة حياة ديمقراطية سليمة.

إن المسئولية الملقاة على عاتقكم مسئولية كبرى ومسئولية عظمى. إن المسئولية التى تتحملونها الآن بعد أن أعطاكم الشعب.. الشعب الوفى، الشعب الأبى.. بعد أن أعطاكم هذا الشعب ثقته، وآماله وأحلامه، وآلامه أيضاً التى عبر عنها دائماً.. إن هذه المسئولية مسئولية عظمى.

إننا بعد انقضاء خمس سنوات على الثورة، نسير فيها بمجلس للثورة لنحقق الأهداف وندعمها ونثبتها، ولنقيم بين ربوع هذا الوطن عدالة اجتماعية ومجتمعاً ترفرف عليه الرفاهية والسعادة.. كما عبر عن هذا دستور الشعب.. إن هذا هو الواجب الملقى على كل فرد منكم نحو وطنه، ونحو نفسه، ونحو الأجيال القادمة.. نحو أبنائه.

إننى فى هذه المناسبة أرجو من الله أن يوفقنا جميعاً وأن يوفق كل فرد منا، وأن يلهمنا الهداية والصبر والعزم والإيمان؛ حتى نستطيع أن نحقق لهذا الشعب – الشعب الوفى، الشعب الطيب، الشعب الأبى – نستطيع أن نحقق له ما يصبو إليه وما يتمناه، ونستطيع أن نعيد إليه الثقة التى أولانا إياها بأعمال مجيدة راسخة ثابتة، لا تهدف إلا إلى مصلحة الشعب والرفع من شأنه، وإقامة مجتمع تسوده الرفاهية.

أيها الإخوة:

فى هذه المناسبة أرجو لكم التوفيق، وأرجو الله أن يوفقنا جميعًا.

والسلام عليكم ورحمة الله.

١٩٥٧/٧/٢٢

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى افتتاح مجلس الأمة

قسم الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

■ أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصاً على النظام الجمهورى، وأن أحترم الدستور والقانون، وأن أرعى مصالح الشعب رعاية كاملة، وأن أحافظ على استقلال الوطن وسلامة أراضيه.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

إن التقاءنا بكم هنا أمل كبير طال انتظارنا له وطال سعينا لتحقيقه.. لقد كان موعدنا معكم منذ خمس سنوات، فقد كنا نتصور وقتئذ أنه فى استطاعتنا أن نلتقى بالممثلين الحقيقيين للشعب.

فى نفس صباح ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢؛ يوم ثورتنا، كُنَّا نتصور أن دورنا فى هذه الثورة هو دور الطليعة تقتحم الأبواب فتفتحها، وتنتظر الزحف المقدس قادماً إثر خطاها؛ شعباً يتلقى مسئولياته وينهض بها، ويشق طريقه إلى مستقبله ويصل إليه.

ثم ما لبثت التجربة أن أوضحت لنا أن الأمر لم يكن بالبساطة، التى كنا نتصورها ونحن بعيدين عن الحقائق المادية المجردة من الأمانى والأحلام.

وحين أتيح لنا أن نرى هذه الحقائق، أدركنا على الفور لماذا لم نستطع أن نلتقى بكم فى الموعد الذى كان بين الأمة وبيننا؛ كان الطريق بيننا وبينكم مليئاً بالعقبات، ولم يكن فى استطاعتنا أن نذهب إلى الممثلين الحقيقيين لهذه الأمة، ولا كان فى استطاعتهم أن يجيئوا إلينا.

كان بيننا وبينكم استعمار جثم على أرضنا منذ مئات السنين بل منذ آلافها، وكان لابد لهذا الاستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل؛ حتى نستطيع أن نلتقى بكم.

وكان بيننا وبينكم ملك استبد وطغى، وكان لابد أن يذهب هذا الملك حتى نستطيع أن نلتقى بكم.

وكان بيننا وبينكم إقطاع استشرى خطره واستفحل ضرره، لم يكتف بأن يملك الأرض وإنما أراد أن يضم إلى ملكية الأرض ملكية البشر، وكان لابد أن ينتهى هذا الإقطاع ويزول حتى نستطيع أن نلتقى بكم.

وكان بيننا وبينكم نظام حزبى مَزَّق وحدة البلاد وفرق شملها، ولم تكن المبادئ موضوع الخلاف، وإنما كانت الزعامات الأنانية والمال الحرام وقوت هذا الشعب هو موضوع الخلاف، ومحور ارتكازه، وكان لابد أن يختفى هذا كله وينمحى حتى نستطيع أن نلتقى بكم.

وكان بيننا وبينكم يأس مخيف سيطر على القلوب والعقول نتيجة لكل ما ذكرنا، فإذا الأحداث تطرأ على هذا البلد والغالبية من شعبه تكتفى بموقف المتفرج، حتى وإن كانت هذه الأحداث تتعلق بالبلد وشعبه وتقرر مصيرهما معًا لمستقبل السنين. ومع اليأس المخيف أصبح وطننا أرضاً مفتوحة مكشوفة أمام كل من تحدثه نفسه بمذهب غريب أو عصبية جاهلة. وفى هذه الظروف ضاع الإيمان وضاعت الثقة، فلم يعد كل فرد فينا يؤمن أو يثق فى زعمائه، أو يؤمن أو يثق بغيره من المواطنين، أو يؤمن أو يثق حتى بنفسه. وكان ينبغى للإيمان والثقة أن يعودا إلينا كشعب وكأفراد حتى نستطيع أن نلتقى بكم.

وهكذا فى الوقت الذى اتضحت فيه معالم طريقنا إليكم وطريقكم إلينا، اتضحت فى الوقت ذاته حدود المعارك التى كان يتعين علينا أن نخوضها؛ لكى يتم اتحاد شعبنا ويصبح حرًّا طليقاً يفتح بيده آفاق غده.

وكانت هذه المعارك فى حقيقة الأمر حرباً واحدة هى حرب الاستقلال.. كان التصدى للاستعمار معركة فى حرب الاستقلال، وكان خلع الملك معركة فى حرب الاستقلال، وكان القضاء على الإقطاع معركة فى حرب الاستقلال، وكان إنهاء وجود الأحزاب معركة فى حرب الاستقلال، وكانت مقاومة اليأس والدعوة إلى الثقة والإيمان معركة فى حرب الاستقلال.

كانت هذه المعارك كلها حرباً واحدة، ولقد تعددت المواقع ولكن العدو كان نفس العدو، العوامل متشابكة والفروع من الجذور. فلقد كان من المستحيل مثلاً أن نقضى على الاستعمار إلا إذا بدأنا بالقضاء على أعوان الاستعمار. وفى الحق أن أعوان الاستعمار كانوا أشد على هذا الوطن خطراً من الاستعمار؛ ذلك أن الاستعمار فى زماننا وعصرنا الحديث لا يجىء سافراً كاشفاً عن ظفره ونابه؛ وإنما هو دائماً يحاول أن يضع من الأقنعة على وجهه ما يخدع الناس به عن حقيقة نواياه.

وحتى قبل أن يحل بأرضنا الاستعمار البريطانى، كان الاستعمار التركى يتحكم فينا لا على أنه استعمار يريد أن يسيطر ويستغل؛ وإنما كانت السيطرة وكان الاستغلال تحت ستار جلال الخلافة ومهابة أمير المؤمنين.

ولما جاء الاستعمار البريطانى بعد أن سحق انتفاضة وطنية باسلة قام بها شعبنا وهى ثورة عرابى، لم يحكم البلد صراحة بضباطه الإنجليز، فقد كان حرياً أن يضعه أمام الشعب وجهاً لوجه، وكان الاستعمار يرى أن خير ما يلائم أهدافه ويحقق أغراضه هو أن يختفى وراء الستار ولا يقف أمامها، وأن يدير الملهاة، بل المأساة، من خلف المسرح ولا يظهر عليه.

وهكذا - أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة - زَيَّفَ الاستعمار تاجاً، وأقام من الوهم عرشاً، ثم بدأ يجيء بالدمى والأصنام يصنع منها فوق رءوسنا ملوكاً وأمراء كانوا أذلاء ضعفاء أمامه؛ لأنه سيدهم وخالقهم، وكانوا عتاة جبابرة على الشعب، يستعيضون منه ضريبة ذلهم وضعفهم أمام الاستعمار.

وكذلك كان الإقطاع.. كان قوة أرادها الاستعمار لتكون بديلاً لقوة القصر فى الحكم وفى الظلم، أو لتكون عوناً لها حسب مقتضيات الأحوال. ثم ضاقت حلقات الحصار حول الشعب لما بدأت الأحزاب تدور فى الدائرة، بعضها يعمل بأوامر القصر مباشرة، وبعضها بوحى من الإقطاع، وبعضها يختصر الطريق فيتجه دون شعور بالخزى أو العار إلى المصدر الحقيقى لكل سلطان؛ إلى الاستعمار. وكان الحصار حول الشعب محكماً لدرجة أنه لما ثار سنة ١٩١٩ لم تلبث الثورة إلا قليلاً حتى ثارت على نفسها، وانحرفت وتفتت وحدتها، وتناثرت شظايا متفرقة تصيب الشعب بجراح جديدة فوق ما كان يقاسيه من جراح. وكان الاستعمار من وراء هذا كله راضياً سعيداً، كانت القوى كلها أوراقاً فى يده يلعب بها إذا شاء مرة واحدة، أو يلعب بها إذا شاء واحدة بعد واحدة، وفى كل الأحوال كان الغنم له وكان الغرم على الشعب.

كذلك كانت المعارك فى حرب الاستقلال.. كان القتال فى أى معركة منها قتالاً فى كل معركة، ومواجهة أى خطر فيها مواجهة لكل الأخطار. كان خلع الملك مقدمة لإعلان الجمهورية، ومقدمة لإلغاء الألقاب، ومقدمة للقضاء على الإقطاع. وكان الإصلاح الزراعى مقدمة لحل الأحزاب، ولم يكن حل الأحزاب بدوره مجرد إنهاء لفتنة مزقت وحدة البلاد ونهبت ما نسى القصر والإقطاع نهبه من خيراتها فحسب؛ بل إن حل الأحزاب كان مقدمة لإجلاء الغاصب عن أرض مصر، فإن قوة الاحتلال فى منطقة القناة ما لبثت أن وجدت نفسها تواجه بلداً متحداً.

ولم يكن التوقيع الحقيقى على اتفاقية الجلاء نتيجة للجلوس إلى مائدة مفاوضات تعثر أمرها أكثر مما استقام؛ وإنما كان توقيع اتفاقية الجلاء محتماً لما

وجد الاستعمار أنه فقد القوائم التى كان يرتكز عليها وجوده قائمة بعد قائمة. لقد تهاوت الدمى والأصنام دمية بعد دمية وصنماً فى أعقاب صنم، أصبح الاستعمار فإذا هو أمام الشعب وجهاً لوجه، ولاحت المعركة بينهما على الأفق، بل ووقعت المعركة فعلاً على أرض منطقة القناة، وبالأيدى المتحدة القوية، وبالدم الذكى الذى سال فى منطقة القناة وقعنا اتفاقية الجلاء، وانتصرنا فى حرب الاستقلال.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

كان انتصارنا فى حرب الاستقلال مقدمة لابد أن تمضى إلى غاياتها، فإن حصولنا على الاستقلال، وإن كان فى حد ذاته أملاً عظيماً، إلا أن ما بعد الاستقلال كان هو دون شك الأمل الأعظم. لم يكن الاستقلال فى رأينا مجرد صك مهرناه بالغالى الذكى من دمائنا لكى نحفظه مع ما نفخر به من تراث ماضينا وآثار أجدادنا؛ وإنما كان إيماننا أن هذا الاستقلال لا خير فيه ما لم يصبح نقطة الانطلاق إلى مستقبلنا.

كنا نريد الاستقلال حتى نستطيع أن نصنع حياتنا فى حرية، وهكذا لم يكن الاستقلال خاتمة المطاف وإنما كان بداية سعى، ولم يكن نهاية كفاح بل كان دعوة إلى كفاح، لم يكن هبوط الليل بعد نهاية عمل نهار وإنما كان مشرق الفجر. كان الاستقلال مجرد إشارة معناها أننا الآن نستطيع أن نعمل، وأننا الآن نستطيع أن نجنى ثمار هذا العمل. ولقد كان العمل المنظم لبناء وطننا عسيراً، بل مستحيلاً قبل الحصول على الاستقلال.

كانت كل جهودنا قبل الاستقلال بذوراً مبعثرة فى مهب الرياح، معظمها يضيع فى الهواء، وقليل منها يستقر على الأرض ليخضر عوده وتورق أغصانه؛ ذلك أن الذين كانوا يتحكمون فى هذا البلد قبل الاستقلال لم يكونوا يريدون له القوة، بل إن حالة الضعف التى كان يرسف فى أغلالها كانت خير ضمان لهم بأن استغلالهم له مباح إلى غير ما حد.

كنا طالما يقعدنا العجز عن الحركة فريسة سهلة، فأين كان وجه المصلحة لديهم فى أن يمنحونا عناصر القوة أو يتركونا نحصل بجهودنا على هذه العناصر؟ إن الأقوياء لا يمكن أن يكونوا فرائس سهلة، وهكذا لما تحطمت الأغلال وجاء يوم الاستقلال، كان المعنى الواضح والحقيقة الظاهرة وراء هذا الاستقلال؛ أنه الآن تفتحت الأبواب للعمل، ولكل من يريد أن يعمل.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

كان أمامنا عمل كثير وطويل.. كانت الأرض أمامنا رحبة واسعة.. كُنَّا نريد أن نعمل للماضى الذى ضاع، وللحاضر الذى نريد أن نصونه، وللمستقبل الذى كنا نريد أن نؤمنه لأبنائنا. وكنا نعرف طريقنا؛ فقد كان شعبنا – كما جاء فى مقدمة دستور ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ – يريد مستقبلاً متحرراً من الخوف، متحرراً من الحاجة، متحرراً من الذل، يبنى فيه بعمله الإيجابى وبكل طاقته وإمكانياته مجتمعاً تسوده الرفاهية، ويتم له فى ظلاله القضاء على الاستعمار وأعوانه، القضاء على الإقطاع، القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم، إقامه جيش وطنى قوى، إقامة عدالة اجتماعية، إقامة حياة ديمقراطية سليمة.

ولم تكن هذه المعانى كلها مجرد شعارات ترتفع بها الأعلام أيام الاحتفالات بالأعياد؛ وإنما كانت هذه المعانى إرادة عزمت وصممت.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

وكان خيالنا مليئاً بأحلام الغد الذى نريده، ولقد أودعنا دستورنا هذه الأحلام، لا لتكون مجرد ألفاظ مرصوصة؛ وإنما لتكون خط سيرنا وخطة عملنا، من أجل هذا الغد الذى نحلم به.

ولابد هنا – أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة – من وقفة طويلة أمام الباب الثانى والثالث من أبواب دستورنا؛ هذه المواد التى تضع المقومات الأساسية للمجتمع المصرى، وتحدد له حقوقه وواجباته.

تأملوا المادة الرابعة من هذا الدستور؛ المادة التي تقول: "التضامن الاجتماعى أساس للمجتمع المصرى".

والمادة الخامسة التي تقول: "الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق والوطنية".

والمادة السادسة التي تقول: "تكفل الدولة الحرية والأمن والطمأنينة وتكافؤ الفرص لجميع المصريين".

والمادة السابعة التي تقول: "ينظم الاقتصاد القومى وفقاً لخطط مرسومة، تراعى فيها مبادئ العدالة الاجتماعية، وتهدف إلى تنمية الإنتاج ورفع مستوى المعيشة".

والمادة الثانية عشرة التي تقول: "يعين القانون الحد الأقصى للملكية الزراعية بما لا يسمح بقيام الإقطاع، ولا يجوز لغير المصريين تملك الأرض الزراعية إلا فى الأحوال التى بَيَّنَها القانون".

والمادة الثالثة عشرة التي تقول: "يحدد القانون وسائل حماية الملكية الزراعية الصغيرة".

والمادة الرابعة عشرة التي تقول: "ينظم القانون العلاقة بين ملاك العقارات ومستأجريها".

والمادة الخامسة عشرة التي تقول: "تشجع الدولة الادخار، وتشرف على تنظيم الائتمان، وتيسر استغلال الادخار الشعبى".

والمادة السادسة عشرة التي تقول: "تشجع الدولة التعاون وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها".

والمادة السابعة عشرة التي تقول: "تعمل الدولة على أن تُيَسِّر للمواطنين جميعاً مستوى لائقاً من المعيشة أساسه تهيئة الغذاء، والمسكن، والخدمات الصحية والثقافية والاجتماعية".

والمادة الثامنة عشرة التي تقول: "تكفل الدولة وفقاً للقانون دعم الأسرة وحماية الأمومة والطفولة".

والمادة التاسعة عشرة التي تقول: "تيسر الدولة للمرأة التوفيق بين عملها فى المجتمع وواجباتها فى الأسرة".

والمادة العشرون التي تقول: "تحمى الدولة النشء من الاستغلال وتقيه الإهمال الأدبى والجسمانى والروحى".

والمادة الواحدة والعشرون التي تقول: "للمصريين الحق فى المعونة فى حالة الشيخوخة وفى حالة المرض أو العجز عن العمل، وتكفل الدولة خدمات التأمين الاجتماعى والمعونة الاجتماعية والصحة العامة، وتوسعها تدريجيًّا".

والمادة الثانية والعشرون التي تقول: "العدالة الاجتماعية أساس الضرائب والتكاليف العامة".

والمادة الثالثة والعشرون التي تقول: "المصريون متضامنون فى تحمل الأعباء الناتجة عن الكوارث والمحن العامة".

والمادة الثامنة والعشرون التي تقول: "الوظائف العامة تكليف للقائمين بها، ويستهدف موظفو الدولة فى أدائهم وظائفهم خدمة الشعب".

والمادة الواحدة والثلاثون التي تقول: "المصريون لدى القانون سواء، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة".

والمادة التاسعة والأربعون التي تقول: "التعليم حق للمصريين جميعاً، تكفله الدولة بإنشاء مختلف المدارس والمؤسسات الثقافية والتربوية والتوسع فيها تدريجياً، وتهتم الدولة خاصة بنمو الشباب البدنى والعقلى والخلقى".

والمادة الواحدة والخمسون التي تقول: "التعليم فى مرحلته الأولى إجبارى وبالمجان فى مدارس الدولة".

والمادة الثانية والخمسون التي تقول: "للمصريين حق العمل، وتعنى الدولة بتوفيره".

والمادة الثالثة والخمسون التي تقول: "تكفل الدولة للمصريين معاملة عادلة بحسب ما يؤدونه من أعمال، وبتحديد ساعات العمل، وتقدير الأجور، والتأمين ضد الأخطار، وتنظيم حق الراحة والاجازات".

والمادة الرابعة والخمسون التي تقول: "ينظم القانون العلاقات بين العمال وأصحاب الأعمال على أسس اقتصادية، مع مراعاة العدالة الاجتماعية".

والمادة السادسة والخمسون التي تقول: "الرعاية الصحية حق للمصريين جميعاً تكفله الدولة بإنشاء مختلف أنواع المستشفيات والمؤسسات الصحية، والتوسع فيها تدريجياً".

والمادة الثامنة والخمسون التي تقول: "الدفاع عن الوطن واجب مقدس، وأداء الخدمة العسكرية شرف للمصريين، والتجنيد إجبارى وفقاً للقانون".

والمادة الواحدة والستون التي تقول: "الانتخاب حق للمصريين على الوجه المبين فى القانون، ومساهمتهم فى الحياة العامة واجب وطنى عليهم".

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

كان لابد من هذه الوقفة الطويلة أمام هذه المواد من دستورنا، فإن هذه المواد فى حقيقة أمرها قسمات الوجه الذى نريده لمستقبلنا وتقاطعيه، إنها أشبه ما تكون بالرسم الذى يضعه المهندسون قبل الشروع فى البناء، ثم يبدأون على

مقاييسه يضعون الأساس، ويصعدون بالطوابق واحداً فوق الآخر حتى يعلو البناء.

وعلى مقاييس هذه المواد من دستورنا بدأ عملنا، ولقد بدأ العمل فى الواقع قبل صياغة مواد الدستور، فإن الأفكار كانت تجيش فى صدورنا قبل أن نصوغها فى الألفاظ، بل إن العمل فى الواقع أيضاً بدأ حتى قبل أن تنتهى حرب الاستقلال. كنا نفعل ما نقدر أن نفعله، بينما نحن نحارب معركتنا؛ كنا نتحرك فى كل شبر نربحه بينما الحرب محتدمة والمعركة دائرة. وكانت أجهزة الدولة كلها متجهة بأقصى سرعتها إلى العمل؛ عملت تحت النار، وعملت بعد حرب الاستقلال، وعملت فى الظروف التى تلت حرب الاستقلال، وكانت فى كثير من الأحيان أشد منها صعوبة وأكثر منها مشقة.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

إن الوزراء سوف يستعرضون أمامكم كل منهم فى حدود اختصاصه ما تم عمله خلال السنوات الخمس الماضية، لهذا سنكتفى هنا بموجز صغير، كل القصد منه أن يتضح لكم مدى التوافق بين أمانى شعبنا التى رسم فيها أحلام غده، ثم أودعها مواد دستوره، وبين التطبيق العملى لهذه الأحلام وتحويل مواد الدستور إلى واقع ملموس.

وفيما يلى ما تم انجازه من الأعمال بواسطة أجهزة الدولة المختلفة؛ فى سبيل بلورة الأفكار لنصبح مجتمعاً سعيداً، وترجمة الرسوم لتكون بناءً شامخاً.

ففى ميدان الإصلاح الزراعى صدر قانون الإصلاح الزراعى رقم ١٧٨ فى سبتمبر سنة ١٩٥٢، يهدف إلى تغير شامل فى النظم السياسية والاجتماعية السائدة فى البلاد؛ يقضى على الإقطاع.. يقضى على الملكيات الشاسعة التى أعطت لأصحابها سلطات وامتيازات اجتماعية واقتصادية، وخلقت منهم طبقة عليا تتصرف فى شئون البلاد كما تشاء؛ عن طريق سيطرتها على الجهاز التشريعى ممثلاً فى البرلمان، والجهاز التنفيذى ممثلاً فى الوزارات، هذا بينما

الغالبية العظمى من المشتغلين بالزراعة – سواء كانوا من صغار الملاك أو من المستأجرين أو من عمال الزراعة – يعيشون فى صحبة الفقر والإهمال.

استولت الهيئة التنفيذية للإصلاح الزراعى على ٤٢٠ ألف فدان كانت زائدة عن الحد فى ملكية ١٧٦٨ مالك، ثمن هذه الأرض بمنشآتها ٩٢ مليون جنيه. هذا بخلاف ١٤٥ ألف فدان تخضع للقانون، وتصرف فيها ملاكها السابقون فى حدود ملكيات صغيرة مساحتها خمس أفدنة لصغار الزراع. وتقرر أخيراً ضم أراضى الأوقاف إلى الإصلاح الزراعى لتوزيعها، وتزيد مساحتها على ٢٠٠ ألف فدان. بذلك تكون مساحة الأرض التى تقرر توزيعها ما يقرب من ٨٠٠ ألف فدان، ولقد تم بالفعل توزيع ٢٨٢,٦٥٠ فداناً، انتفع بحيازتها ٦٨٧٣٧ أسرة، تتكون من ٤٦٦٤٩٥ فرداً، وسيتم هذا العام – إن شاء الله – توزيع خمسين ألف فدان، سيوزع منها غداً – ٢٣ يوليو – عشرين ألف فدان.

وبانتهاء التوزيع يكون قد انتفع بتملك الأرض مليون وخمسمائة ألف فرد. ولم يترك الملاك الجدد ليواجهوا مشاكلهم دون عون؛ وإنما نص القانون على تكوين جمعيات تعاونية زراعية لمن آلت إليهم الأرض، وبلغ عدد الجمعيات التى تم تأسيسها حتى نهاية العام الماضى ٢٠٦ جمعية. وقد حققت هذه الجمعيات التعاونية فى العام الماضى – سنة ١٩٥٦ – ربحاً صافياً قدره مليون وأربعة وعشرين ألف وتسعمائة ستة وأربعين جنيهاً، هذا عدا أنها أصبحت الآن تملك احتياطات معدة لمشروعات إنتاجية واجتماعية لأعضائها قيمتها ستة مليون جنيه.

صدر قانون لتحديد الإيجارات، حقق استقراراً للمستأجرين وزيادة فى إنتاجية الأرض؛ نتيجة لزيادة دخل هؤلاء المستأجرين. أبرز النتائج الاجتماعية للإصلاح الزراعى، هى:

كان كبار الملاك يملكون ٢٠% من الأرض، وكانت نسبتهم بين ملاك الأرض هى ٦ فى ١٠ آلاف.

كان صغار الزراع يملكون ٣٥% من الأرض، وكانت نسبتهم ٩٥%.

والآن أصبح الوضع:

كبار الزُرّاع يملكون الآن ٦% من الأرض، صغار الزراع يملكون ٥٠% من الأرض.

أما فى ميدان الزراعة فقد أدى التوسع فى توزيع التقاوى المنتقاة لمختلف المحاصيل إلى ارتفاع غلة الفدان؛ فزاد معدلها فى السنوات الأربع الأخيرة بمقدار ١١% عما كانت عليه فى الأربع سنوات السابقة للثورة. كانت الزيادة فى القمح ١٩%، والأرز ٢٨%، والقصب ١٧%، والشعير ١٣%، والذرة الشامية ٦%.

أصبحنا نستورد مواد غذائية أقل، ونصدر أكثر؛ كنا سنة ١٩٥١ نستورد ٦ مليون أردب قمح، فى سنة ١٩٥٥ استوردنا ٣,٦ مليون أردب قمح، زاد تصديرنا من الأرز والبصل.. سنة ١٩٥١ صدرنا أرزاً مقداره ٢٥ ألف طن، سنة ١٩٥٥ صدرنا أرزاً مقداره ٢٣٥ ألف طن، سنة ١٩٥١ صدرنا بصلاً مقداره ٢,٣ مليون قنطار، سنة ١٩٥٥ صدرنا بصلاً مقداره ٤,٦ مليون قنطار.

ورغبة فى تجنب أخطار الاعتماد على محصول واحد، زادت المساحات التى زرعت بمحصولات أخرى غير القطن زيادة هائلة؛ فى سنة ١٩٥٦ زرعنا ٣١٧ ألف فدان أرز زيادة عما كنا نزرعه قبل ١٩٥٢، فى سنة ١٩٥٦ زرعنا ١٠٣ ألف فدان خضر زيادة عما كنا نزرعه قبل ١٩٥٢، كذلك زادت زراعة الفواكه ١٣ ألف و٥٠٠ فدان، والقصب ١٧ ألف و٣٠٠ فدان، والمحاصيل البقولية ١٢ ألف فدان. وضع برنامج لزيادة مساحة حقول الفاكهة إلى ٥٠% من المساحة الحالية على مدى سبع سنوات، من أجل هذا يتم توزيع مليون و٢٠٠ ألف شتلة سنوياً من مختلف أصناف الفاكهة على الزراع. تجرى الآن على أوسع نطاق دراسة موضوعية للتربة المصرية، كما تم إنشاء معمل بحوث للأراضى الملحية والقلوية ومحطة أبحاث لتغذية النبات. زاد إنتاج مصر من

اللبن؛ سنة ٥٣/٥٢ كان إنتاج مصر من اللبن ١,٩٥٠ مليون رطل، سنة ٥٦/٥٥ زاد إنتاج اللبن فى مصر إلى ٢,٣٤٠ مليون رطل. بدأ إنشاء ٣٠٠ وحدة بيطرية لعلاج الحيوانات، تتولى كل منها علاج عشرين ألف فى محيط عملها.

كان دخلنا من الزراعة فى موسم ١٩٥٣/١٩٥٢ هو ٥٢ مليون جنيه، وصل عام ٥٦/٥٥ إلى ٣١٢ مليون جنيه.

فى ميدان الصناعة تم دراسة كل الإمكانيات الصناعية بمصر دراسة علمية وشاملة، ينتهى هذا العام بناء مصنع الحديد والصلب، تم توسيع معمل تكرير البترول فى السويس بحيث زاد إنتاجه من ٤٠٠ ألف طن إلى مليون و٣٠٠ ألف طن، وتم أيضاً إنشاء معمل فى مسطرد، وتم كذلك إنشاء معمل فى الإسكندرية تصل طاقته إلى ٧٠٠ ألف طن، كذلك تم مد خط أنابيب بترول بين السويس والقاهرة طوله ١٣٠ كم وكفايته ٢ مليون و٣٠٠ ألف طن.

أوشك العمل فى كهربة خزان أسوان على الانتهاء، وتقدر تكاليفه بسبعة وعشرين ونصف مليون جنيه، وسيعطى قوة كهربائية قدرها ١٨٨٠ مليون كيلووات/ساعة تستخدم فى الأغراض الصناعية؛ وبينها الكهرباء اللازمة لمصنع السماد الكبير الذى يجرى إنشاؤه الآن، والذى يتكلف ٢٢ مليون جنيه، ليكون إنتاجه ٣٧٠ ألف طن من سماد نترات النشادر الجيرى، تبلغ قيمتها كل عام أكثر من ٨ مليون جنيه.

تم وضع مشروع للتوسع الصناعى على خمس سنوات، وسوف يترتب على تنفيذه زيادة فى الدخل القومى مقدارها ١٣٠ مليون جنيه، وبذلك يصبح نصيب الصناعة ٢٢% من الدخل القومى. يحتاج هذا البرنامج إلى ١٢٠ ألف عامل جديد، وبما أن وجود كل عامل فى المصنع يقتضى وجود أربعة عمال غيره فى النقل والتوزيع.. فإن هذا البرنامج سيوفر مجال العمل لما يزيد على نصف مليون عامل، يوزع دخلهم على ٣ مليون من السكان.

بُدِءَ فعلاً فى تنفيذ المرحلة الأولى من هذا المشروع، ويجرى الآن إنشاء ٢٩ مشروعاً منها، بينها مصنع الورق، ومصنع الصودا الكاوية، ومصنع معدات المبانى.. خصص للمشروعات الإنتاجية فى ميزانية الدولة فى الأربع سنوات الماضية ما معدله ٥٠ مليون جنيه كل سنة، أى ٢٠٠ مليون جنيه فى أربع سنوات.

قامت صناعات جديدة، مثل: صناعات الكابلات، والبطاريات، والكاوتشوك، والصينى والخزف، والجوت، والأدوية، والأدوات الكهربائية.

أصبح الإنتاج الصناعى يزيد بمعدل ١٠% كل عام، وسوف يتعدى هذه النسبة بكثير بعد مشروع السنوات الخمس، كما أعد برنامج تعدينى واسع النطاق.

بقى جزء هام من نهضتنا الصناعية؛ ذلك هو صناعاتنا العسكرية التى أدت رسالة هائلة فى سد احتياجات القوات المسلحة، وضربت أرقاماً تعتبر قياسية فى عالم الصناعة والتصنيع. ويكفى أن هذه المصانع حققت إنتاجاً بلغت قيمته ٧ مليون جنيه فى السنتين الأخيرتين، هذا فضلاً عن فائدة أخرى أخطر وأهم لهذه المصانع؛ تلك هى خلق جيل جديد من العمال المهرة والمهندسين والفنيين.

أما فى ميدان المال والاقتصاد والتجارة والتموين فقد بدأت الثورة والبلاد على حافة الخراب؛ كان هناك عجز فعلى فى ميزانية ٥٢/٥١ قدره ٣٨ مليون جنيه، وكانت هناك خسائر عمليات المضاربة فى القطن وقدرها ٣٠ مليون جنيه، وفوق ذلك كانت هناك نفقات حرب فلسطين.

كان عجز الميزان التجارى سنة ١٩٥٢/٥١ (٧٦) مليون جنيه و٧٠٠ ألف، وهبط العجز سنة ٥٦ إلى ٤٣ مليون جنيه و٨٠٠ ألف، وفى الشهور الستة الأولى من سنة ١٩٥٧ حققنا فائضًا قدره ٦ مليون جنيه ونص.

تم تمصير ٧ بنوك و١٦ شركة تأمين وأكثر من ٤٠ شركة، كانت هى فى الواقع شرايين الاقتصاد المصرى. تحول البنك الأهلى إلى بنك مركزى،

وأنشئت المؤسسة الاقتصادية بغرض توحيد الهيئة التى تتولى وضع سياسة استثمار الأموال العامة فى مختلف ميادين النشاط الاقتصادى، ولتكون قوة اقتصادية متحركة مؤثرة دافعة فى هذه الميادين.

تم تدعيم سوق الأوراق المالية، تم وضع تنظيم للأداة الحكومية، تم وضع برامج لتدريب الموظفين، زادت ودائع المصريين فى البنوك ٦٢ مليون جنيه؛ كانت ٢٠٠ مليون جنيه و ٧٠٠ ألف، وأصبحت ٢٦٢ مليون جنيه و ٥٠٠ ألف. كان عدد الشركات المصرية سنة ١٩٥٢ هو ٢٦ ألف و ٦٣٦ شركة فيها ١٨٣ مليون جنيه، أصبح عددها سنة ١٩٥٦ هو ٣٤١٤ شركة فيها الآن ٢٤٦ مليون جنيه؛ أى بزيادة ٧٤٨٧ شركة و ٦٣ مليون جنيه.

عقدنا اتفاقيات تجارية مع ٣٢ دولة.. نظمت تجارة القطن.. نظمت الأسواق.. نظمت الغرف التجارية، دعم البنك الصناعى، وصنعت سياسة تموينية لمواجهة مستقبل الزيادة فى عدد السكان، بذلت جهود هائلة لتوفير السلع التموينية حتى فى أشد الظروف صعوبة وأقصاها مشقة.

أما فى ميادين الأشغال والمواصلات.. وضع برنامج لتوسع زراعى عاجل فى مساحة قدرها ٣٠٠ ألف فدان، ينتظر إتمامها هذا العام، تكاليفها ٧ مليون جنيه. وضعت مشروعات لتحسين طرق الرى والصرف بالوجهين البحرى والقبلى، وتتكلف هذه المشروعات ٥٨ مليون جنيه، وبدأ التنفيذ سنة ١٩٥٤، ومجموع ما صرف حتى الآن لهذه المشروعات ١٩ مليون جنيه. وضع برنامج لتدعيم خطوط الملاحة الحالية فى النيل تكلف ١١ مليون.

زاد إنتاج الكهرباء وزاد استهلاكها فأصبح الآن ١٥٠٠ مليون كيلووات/ساعة، هذا عدا الكهرباء الناتجة من خزان أسوان وقدرها ١٨٨٠ مليون كيلووات/ساعة، وقد أعدت مشروعات لتوصيلها إلى ٨ آلاف مليون كيلووات/ساعة على مدى خمس سنوات، تتكلف ٢٥ مليون جنيه.

تم تجديد ٥٠٠ كيلو متر سكة حديد، وشراء ١٢٠ قاطرة ديزل، و٤٥ قاطرة ديزل ثقيلة، و٢٤٠ عربة ركاب، و٢٠ وحدة ديزل كل منها ٣ عربات، و١٧٠٠ عربة بضاعة. أنشئت وجددت كبارى ومحطات وأنفاق زاد عددها على ٣٠٠ كوبرى ومحطة ونفق، وتمت كهربة سكة حديد حلوان وتكلفت هذه الكهربة ٥,٥ مليون جنيه.

صرفنا على إنشاء الطرق ١٨ مليون جنيه، وسنصرف عليها ٢٠ مليون جنيه فى السنوات الخمس القادمة، تم مد ٢٠٠٠ كيلومتر من الطرق الجديدة، أصبح لدينا من سيارات الأتوبيس ما يكفى لنقل ٥٠ مليون راكب كل سنة، ومن سيارات اللورى ما طاقته ٢٠٠ مليون طن فى السنة.

زاد عدد التليفونات ما يقرب من ٥٠ ألف خط، أصبحت طاقة مصلحة البريد ٢٥٣ مليون خطاب ومليون طرد فى السنة، وأصبحت طاقة أعمالها المالية ١٢٥ مليون جنيه.

أما فى ميدان التخطيط والشئون البلدية والقروية.. أنشئت هيئة عليا للتخطيط والتنسيق؛ حتى تكون أعمالنا على هدى، وحركاتنا طبقًا لبرنامج مرسوم. بلغت جملة تكاليف توفير المياه النقية للمدن والقرى ٢٦ مليون جنيه، و٥ ونص فى المدن والباقى كله فى الريف.

أعد تخطيط لكل المدن الكبرى فى جمهورية مصر، تم إنشاء ٢٥٠ وحدة مجمعة وصلت تكاليفها إلى ١٣ مليون جنيه، أعيد تنسيق وتحسين مداخل القاهرة، ورصف من شوارعها خمسة ونصف مليون متر مربع، تكلفت خمسة مليون جنيه. أقيمت كبارى وأنفاق لمداخل المدينة وعلى طريق الكورنيش، وكذلك كوبرى الجامعة، قد تكلف ذلك ٢,٥ مليون جنيه. أنشىء طريق الكورنيش ويبلغ طوله ٤٠ كيلو متراً وتكلف ٢,٥ مليون جنيه، كما أنشىء طريق بورسعيد وطوله ١٥ كيلو متراً وتكاليفه ٨٠٠ ألف جنيه. أُزيلَتْ أحياء

غير صحية من القاهرة، وأنشئت لسكانها مساكن شعبية عددها ٤٠٠٠ مسكن، هذا عدا برنامج المساكن الشعبية الأخرى.

ولم تكن القاهرة فى هذه المشروعات كلها إلا نموذجاً لغيرها من بلاد القطر، أعيد تعمير بورسعيد فى زمن قياسى تحت ظروف نعرفها جميعاً، وتم بناء ٤٤٦٠ مسكن بكل ما يلزمها من مرافق وخدمات عامة كالمدارس والمستشفيات والأسواق التجارية. وأقيمت منشآت جديدة فى بورسعيد لا تقل تكاليفها عن خمسة مليون جنيه، وبلغ ما صرف على أعمال التعمير والإنشاء فى السنوات الخمس الماضية ١١٢ مليون جنيه.

أما فى الميدان الاجتماعى.. صدر قانون عقد العمل الفردى، وصدر قانون تنظيم النقابات، وتنظيم التوفيق والتحكيم. تم تنظيم التعاون باعتباره من المبادئ الأصيلة للثورة، ووضع برنامج للحركة التعاونية على خمس سنوات. صدر قانون نظام التأمين والادخار للعمال، وتبحث الآن مشروعات تأمين العامل ضد المرض والبطالة.

أعيد تنظيم جمعيات البر، تعاون الوطن كله فى تحمل أعباء تعويض الذين لحقهم أضرار العدوان. صرفت وزارة الأوقاف فى وجوه البر والخير مليونًا ونصف مليون جنيه، وهناك ١٢ ألف أسرة فقيرة تصرف لها الوزارة سنويًا ٢٠٠ ألف جنيه.

قامت حركة تشريعية واسعة النطاق وسنت مجموعات من القوانين، تهدف إلى القضاء على مفاسد الماضى وتطهير الحياة العامة، وتساند التطور الاجتماعى والثقافى والاقتصادى، وأبرز هذه القوانين قانون إلغاء المحاكم الشرعية والملية وإحالة قضاياها إلى المحاكم الوطنية، وأعيد إصدار قانون استقلال القضاء، وقانون المحاماه.

وفى نفس الوقت بذل أكبر مجهود لصيانة الأمن؛ أنشئت ٤٩ مدرسة دربت ٣٥ ألف رجل من رجال البوليس، ارتفع مستوى أسلحة البوليس، وارتفع

مستوى مواصلاته، أنشئت له شبكة لاسلكية، وضعت تحت تصرفه أحدث الآلات والأجهزة العلمية فى محاربة الجريمة؛ والنتيجة أنه بالرغم من زيادة عدد السكان وتفاقم مشاكل الجريمة فى العالم أجمع، هبط عدد الجنايات فى سنوات الثورة بمقدار ٣٨٣٧ جناية عما كان عليه فى السنوات الخمس السابقة لها، بمعدل ٧٦٧ جناية كل عام. هذا عدا إعادة تنظيم الدفاع المدنى، وتنظيم إدارة الهجرة والجوازات والجنسية، وتعميم نظام البطاقات الشخصية.

أما فى الميدان الصحى.. فمع الوحدات المجمعة تم إنشاء ٢٥٠ مستشفى، ملحق بها ٤٠ مجموعة صحية، تخدم كل منها ١٥ ألف من السكان.

تم إنشاء ١١٥ وحدة للعلاج الشامل فى المنيا والشرقية.. تَضاعَفَ عدد أسرة الدرن، وأنشئت المصحات والمستوصفات، أنشئت ٣ مستشفيات عمومية كبرى وثمانية فى بنادر المديريات، وأصبح عدد المستفيدين من المستشفيات العامة سنة ١٩٥٦ هو ٥ مليون مواطن. وأنشئت ١٤ وحدة رمد جديدة، تقرر إنشاء ٤ مستشفيات للأمراض العقلية، و٧ مستشفيات جديدة للحميات، و٢٨ وحدة لمراقبة الأغذية. عززت معامل اللقاحات والأمصال، وبدأ إنتاج الأنسولين والجلوكوز على نطاق واسع فى مصر. أنشىء مركز رئيسى لنقل الدم، و١٠ مراكز بعواصم الأقاليم.

زادت مراكز رعاية الأمومة والطفولة، أنشىء مصنع للمبيدات الحشرية، بذل كل جهد لتوفير الدواء سواء عن طريق الاستيراد أو عن طريق تشجيع التصنيع المحلى، أرسلنا ٤٥٠ طبيبًا من أطبائنا للتخصص فى أعظم جامعات العالم.

يجرى الآن ويتم قريبًا إنشاء معهد للسرطان، ومعهد لشلل الأطفال، ومعهد للعلاج بالنظائر المشعة، ومعمل لاختبار الأدوية، ومعمل لبحث تأثير الإشعاع الذرى على الإنسان، ومعمل لبحوث الأشعة.

أما فى ميدان العلم والثقافة.. ففى العام السابق للثورة بنيت فى مصر ٣ مدارس جديدة، وفى السنوات الخمس الماضية كان مجموع ما بنى من مدارس ١٢٣٥ مدرسة، أى بمعدل ٢٤٧ مدرسة كل عام، أى بمعدل مدرستين كل ثلاثة أيام.

فى السنوات الخمس السابقة على الثورة بلغ ما صرف على بناء المدارس ٤ مليون جنيه، وفى الخمس سنوات التالية للثورة صرف على بناء المدارس ٢٥ مليون جنيه، وصرف ٢,٥ مليون لتجديد مدارس قديمة.

فى أول سنة للثورة وصلت ميزانية التعليم إلى ٢٦ مليون جنيه، ثم قفزت إلى ٣٦ مليون جنيه، وفى هذا العام وصلت إلى ٤٥ مليون جنيه، منها ٣٨ فى ميزانية وزارة التربية والتعليم، والباقى مرصود فى ميزانيات وزارات أخرى تعليمية.

أنشىء مجلس رعاية الشباب ليرسم الخطط الكفيلة بنشر الوعى الرياضى والاجتماعى والقومى للشباب، ويحميهم من الانحراف، ويوجههم فيما يعود عليهم وعلى بلادهم بالخير والنفع. ومن أجل مشروعات الشباب صرف فى العام الماضى وفى هذا العام أكثر من ٢ مليون جنيه.

أنشئت جوائز لتشجيع الممتازين من الطلاب والمعلمين، حصل عليها حتى الآن ٢٢ ألف طالب ومعلم فى أكثر من ألف مدرسة ومعهد.. كان عدد الطلبة العرب والشرقيين سنة ١٩٥٢ فى المعاهد المصرية ١٦٧٦ وعددهم الآن ٨٥٣٤.

وكان لنا فى البلاد العربية والشرقية ٦٩٠ مدرساً، ولنا الآن ١٦٧٦ مدرسًا. وأنشأت مصر مراكز ثقافية فى بنى غازى، وطرابلس، وأم درمان، ودمشق، وعمان، والرباط. وأهدت مصر إلى الدول العربية والشرقية ٣٨٠ ألف كتاب. كانت بعثاتنا فى الخارج ٣٤٦، ولنا الآن ٧٠٠ بعثة.

بلغ عدد الطلاب فى مدارسنا ومعاهدنا ٢ مليون و٧٥٠ ألف؛ كان لنا فى المدارس الابتدائية مليون و٤٠٠ ألف تلميذ، ولنا الآن ٢ مليون ١٧٦ ألف تلميذ. وفى المدارس الفنية والصناعية كان لنا ٢٢ ألف تلميذ، ولنا الآن ٤٩ ألف و٥٠٠ تلميذ. وفى الجامعات كان لنا ٤٢ ألف طالب، ولنا الآن ٧٤ ألفًا. وفى التعليم الدينى كانت ميزانية الأزهر مليون و٣٩١ ألف و٥٥ جنيه، أصبح ٢ مليون و٣٥٠ ألف و٦٠٠ جنيه.

كان للأزهر ٢٥ معهدًا، أصبحت الآن ٣٧، كان فيه ٢٢ ألف و١٣٥ طالبًا، وفيه الآن ٣١ ألف و٥٥٦ طالبًا، كان له فى البلاد العربية والإسلامية ٧٣ عالمًا مبعوثًا، وله الآن فى البلاد العربية والإسلامية ٧٠٠ عالم مبعوث، ويبنى الأزهر الآن مدينة للبعوث الإسلامية تتكلف ٢ مليون جنيه.

أنشىء المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، وأنشىء المجلس الأعلى للعلوم، أصبح المركز القومى للبحوث – بعد أن تم بناء معامله وإعداد أجهزته – أكبر مركز مجمع للبحوث فى الشرق، ومن أعظمها فى العالم بأسره، كان فيه ٦ باحثين سنة ١٩٥٤، وفيه الآن ١١٠ باحث.

أصبحت لنا أقوى محطات إذاعة فى الشرق، وصنعت البرامج للنهوض بالمسرح والسينما والموسيقى.

وأخيرًا – أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة – سرنا مع الزمن، وبدأنا نخطو عتبات العالم الذرى؛ أنشأنا لجنة لأبحاث الطاقة الذرية، أعدت برنامجًا يتضمن إنشاء فرن ذرى للدراسات، ومعمل للطبيعة النووية، ومركز للعلاج، ومعدات للكشف الجيولوجى، ووحدات لبحث الزراعة والتطبيقات الذرية الصناعية، تكلف هذا البرنامج مليون جنيه. ويجرى الآن إعداد برنامج ثانى يهدف إلى الكشف عن الخامات الذرية الموجودة فى صحارى مصر، وإلى إنتاج الماء الثقيل الذى يدخل فى بناء محطات توليد القوى الكهربائية الذرية، ولنا الآن

أكثر من مائة عالم مصرى يتخصصون فى الأبحاث المتصلة بعلوم الذرة، فى أكبر مراكز البحث الذرى فى العالم.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

ولكن الاستعمار هاله ما كنا نفعله فى بلادنا؛ لقد أصبح واضحًا الآن لنا أن الاستعمار لم يكن يريد أن تنهض من تحت أنقاض الماضى أمة جديدة تبنى نفسها وتحاول أن تكون نموذجاً لغيرها من الأمم المتحررة فى المنطقة، أمة تمنح نفسها القوة وترشد غيرها إلى الطريق.. كان الاستعمار يريد لهذه المنطقة أمراً، وكانت شعوب المنطقة تريد لنفسها أمراً آخر.

وهكذا – بينما نحن منهمكون فى عملية البناء – أخذ الاستعمار يتحرش بنا، ولقد أدركنا على الفور أنه لا مفر من معركة أخرى مع الاستعمار لصيانة استقلالنا، وكانت المعركة جديدة فى هذه المرة عن المعركة التى كنا قد نفضنا أيدينا منها لتونا.. حاربناه فى المرة الأولى داخل بلادنا لنخرجه منها، وبدا أننا سنضطر لحربه مرة ثانية فى خارج بلادنا حتى لا يدخل إليها.

كانت الحرب الأولى حرب الاستقلال، وكان لابد أن تصبح الحرب الثانية حرب تثبيت الاستقلال. ولقد حاولنا جهدنا أن نتجنب معركة صريحة؛ فقد كنا ندرك حاجتنا إلى الوقت لكى نبنى بلادنا، ولكن الاستعمار كان يرى ما كنا نراه، ومن هنا كان همه الأول ألا يترك لنا وقتاً، أو هكذا كانت خطته، فلم يكد التوقيع بالحروف الأولى على اتفاقية القاعدة يتم حتى بدأت سلسلة المناورات التى كانت فى الواقع مقدمات معركة الاستقلال الثانية، أو معركة تثبيت الاستقلال.

كانت أولى هذه المناورات مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط.. لقد كان الدفاع عن الشرق الأوسط يهمنا من غير شك، ولكن نوع الدفاع الذى كنا نريده كان يختلف عن نوع الدفاع الذى كانوا يريدونه، وكان خلافنا الأساسى ينبع من مصدرين: الأول، أننا كنا نريد دفاعًا يحمى الشرق الأوسط من أى عدوان مهما

كان مصدره، وكانوا يريدون أن يكون الدفاع ضد الاتحاد السوفيتى، وضد الاتحاد السوفيتى وحده.

والثانى، أننا كنا نريد دفاعًا ينبثق من داخل المنطقة نفسها، ويرتكز على شعوبها، وكانوا يريدون دفاعًا مشتركًا يدخلون فيه، ويسيطرون عليه، ويصبحون رؤوسه وتصبح شعوب المنطقة ذيوله، يتولون قيادته ولا تملك شعوب المنطقة إلا أن تكون مجرد الأنفار، أو مجرد وقود بشرى للمعركة.

وكانت هوة الخلاف على هذا النحو شاسعة؛ فقد كانت الفوارق واسعة بين ما نريد وما يريدون؛ كنا نريد الحرية الحقيقية، وكانوا يريدون السيطرة المقنعة.

ولما استطاعوا إقناع الوزارة العراقية – القائمة فى ذلك الوقت – بفكرة التحالف العسكرى المتجه ضد الاتحاد السوفيتى وحده، شركة مع بريطانيا ثم مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك، لم نقل شيئاً بادئ الأمر، فقد كان رأينا أن المشكلة أولاً وأخيرًا تخص شعب العراق، وهو وحده صاحب الحق أن يقول رأيه فيها. وفى هذا كله – كما شرحنا – كنا نريد بقدر ما نستطيع أن نتجنب المعركة، فقد كنا فى حاجة إلى كل دقيقة من وقتنا للبناء. وجاءت لحظة وجدنا فيها أننا لا نستطيع السكوت، فإن معركة الأحلاف العسكرية تخطت حدود العراق، وبدأت الدعوة توجه إلى باقى الدول العربية؛ كى تنضم إلى الحلف العسكرى الجديد.

وهكذا كان هذا خطرًا على المنطقة كلها من وجهة نظرنا، وكذلك كان خطرًا على سلامتنا الوطنية هنا فى مصر. فلو أن جميع الدول العربية استجابت لهذه الدعوة الموجهة إليها، وقبلت الانضمام إلى هذا الحلف، إذاً لكان معنى ذلك أن اهتمام هذه الدول جميعاً سوف يتجه إلى خطر محتمل قادم من الشمال، ويتغافل عن خطر محقق رابض فى قلب المنطقة العربية نفسها وهو إسرائيل.

ولو أن ذلك حدث لكان معناه تصفية قضية فلسطين فى صالح إسرائيل أولاً، ثم كان معناه ترك مصر وحدها تواجه إسرائيل ومطامعها التوسعية، ثم تستدير بعد مصر إلى باقى أجزاء الوطن العربى تلتهم منه جزءًا بعد جزء.

ثم تكشفت حدود المؤامرة كلها، عندما وقف رئيس وزراء بريطانيا بجلسة مجلس العموم البريطانى يوم ٤ أبريل سنة ١٩٥٥ يقول ما نصُّه: "إن حلف بغداد يمكننا من تدعيم نفوذنا فى الشرق الأوسط، ويجعل لنا القدرة على أن نرفع صوتنا عالياً فى كل مشاكله".

هنا - أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة - خرجنا نقاوم الدعوة إلى الحلف الجديد باعتبارها خطراً علينا كشعب عربى أولاً وكشعب مصرى ثانياً، خطراً على قوميتنا العربية، وخطراً على حدودنا الوطنية. وإذا كانت حرب الاستقلال سلسلة معارك متشابكة متلاصقة، فكذلك كانت هذه الحرب الجديدة - حرب تثبيت الاستقلال - فإن معركة الدفاع عن الشرق الأوسط أو معركة الأحلاف العسكرية المفروضة من الخارج لم تلبث أن قادتنا إلى اشتباكات فى خطوط الهدنة مع إسرائيل؛ هذه الاشتباكات التى بدأت بالغارة الإسرائيلية الشهيرة على غزة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥. وقبل هذه الغارة على غزة لم نكن نشغل أنفسنا كثيرًا بخطر اسرائيل، كنا فى ذلك الوقت نعتبر خطر إسرائيل هو مشكلة سباقنا مع الوقت لبناء أوطاننا، كنا نعتبر أن خطر إسرائيل فى حقيقة أمره هو ضعف العرب، لولا هذا الضعف ما قامت إسرائيل، ولولا هذا الضعف ما استطاعت أن تغتصب من الوطن العربى بقعة من أقدس بقاعه وأطهر أراضيه.

كان اعتقادنا أننا إذا استطعنا أن نبنى فى مصر هذه الأمة الكبيرة التى نحلم ببنائها، فإن خطر إسرائيل يتلاشى وعنادها يلين. وكذلك كنا فى اندفاعنا إلى بناء مصر نتصور أننا فى الوقت نفسه ندفع الخطر الإسرائيلى عن تهديدنا، ونحول دونه ودون تثبيت أقدامه على الأرض المقدسة الطاهرة التى انتزعها من أرضنا. ولكن دخان الغارة على غزة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ انجلى ليكشف حقيقة

خطيرة؛ تلك هى أن إسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة؛ وإنما إسرائيل فى حقيقة أمرها رأس حربة للاستعمار، ومركز تجمع لقوى أخطر من إسرائيل وأخطر من الاستعمار؛ وهى الصهيونية العالمية. وكانت هذه الحقيقة التى انجلى عنها دخان الغارة على غزة نقطة تحول فى تفكيرنا، وفى اتجاه الأحداث بالمنطقة كلها.

لقد تبين أن مشكلة إسرائيل ليست مشكلة داخلية إلى الحد الذى كان يبدو قبل غارة غزة، وتبين أننا لا نستطيع أن نمضى فى معركة البناء غافلين عن الخطر الذى يهدد ما نبنيه ويهدد وجودنا بأسره. إن الطرق والمستشفيات والمصانع والمراكز الاجتماعية لا تكفى وحدها لصيانة أمننا وحماية نطاق سلامتنا؛ سواء فى معناه الواسع على الحدود العربية كلها، أو فى معناه الضيق على حدودنا المحلية وحدها. وبدأ الواجب يحتم علينا ألا ننسى دفاعنا.. دفاعنا العسكرى، بينما نحن نبنى مجتمعنا. وهكذا أوصلتنا معركة اشتباكات خطوط الهدنة مع إسرائيل إلى معركة أخرى فى حرب تثبيت الاستقلال؛ تلك هى معركة احتكار السلاح.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

كانت معركة احتكار السلاح حلقة جديدة فى السلسلة، أول حلقات السلسلة كانت جرنا إلى الأحلاف العسكرية الأجنبية، فلما رفضنا قيودها وأصررنا على الرفض، كان تحريض إسرائيل علينا؛ حتى يثبتوا لنا أننا لا نستطيع الدفاع عن أنفسنا، وأننا فى حاجة دائمة إلى حمايتهم، فكيف بنا نحلم بالدفاع عن الشرق الأوسط؟! ولقد قالوها لنا صراحة فى ذلك الوقت بلسان أصدقائهم الذين قبلوا وجهة نظرهم، فلقد تعلق هؤلاء الأصدقاء بالفرصة التى أتاحتها لهم غارة غزة، فبدأوا يرددون من الحجج ما تصوروا أنه يؤيدهم فيما تورطوا فيه، قالوا: لو إن مصر كانت فى نطاق حلف عسكرى لكانت حصلت على السلاح من أقوياء هذا الحلف، أو لكان هؤلاء الأقوياء تولوا مهمة الدفاع عنها.

ونسى هؤلاء عبرة ما جرى فى فلسطين، وكانت فلسطين بالنسبة لنفس هؤلاء الأقوياء أكثر من زميل فى حلف؛ كانت تحت انتدابهم.. كانت تحت وصايتهم.. كانت فى كنفهم وفى رعايتهم، وكانوا مسئولين عنها أمام عصبة الأمم التى قررت انتدابهم على فلسطين، ومع ذلك كانوا هم أنفسهم الذين سلموا فلسطين وباعوا شعبها. أما نحن فلم نكن قد نسينا، وهكذا أعلنّا - أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة - أننا سندافع عن أنفسنا بأنفسنا، وسنرد العدوان بالعدوان.

هنا بدأت الحلقة الثالثة فى السلسلة؛ معركة احتكار السلاح.. معركة ثالثة فى حرب تثبيت الاستقلال. وفى نفس الوقت كتب علينا أن ندخل معركة رابعة فى حرب تثبيت الاستقلال؛ هى معركة تحديد معالم شخصيتنا الدولية، ورسم مسلكنا فى هذا العالم الذى زرعوه بالمشاكل من حولنا؛ فكان حصاد ما زرعوه حربًا باردة تفترس أعصاب العالم وتمزقها، وتهدده كل يوم بحرب ساخنة تنتهى بدمار شامل لا يبقى ولا يذر. وتشابكت هاتان المعركتان معًا إلى حد بعيد؛ معركة الحصول على السلاح، ومعركة الشخصية المصرية المستقلة.. معركة القوة ومعركة الضمير.

كنا نريد أن نكون أقوياء فى وطننا ندافع بكفاية عن حدوده، وكنا نريد أن يكون ضميرنا الدولى يقظاً يشارك فى الدفاع بكفاية عن سلام العالم. لم نكن نريد أن نسمع طرقات التهديد تدق أبوابنا ولا نستطيع للخطر الداهم علينا دفعاً ولا رداً، وكذلك لم نكن نريد أن نرى نيران الفتنة تندلع فى الأرض من حولنا وتحرق غيرنا وتحرقنا معهم؛ دون أن يكون لنا نصيب فعال يصدر فى كل تصرفاته عن روح من عدم الانحياز، تنشد العدل وتطلب السلام على أساسه.

هكذا تشابكت معركتان فى حرب تثبيت الاستقلال.. الحصول على سلاح، والاشتراك فى مؤتمر باندونج الذى جمع دول إفريقيا وآسيا.. تشابكت المعركتان فى تلاحق الحوادث، وتشابكتا أيضًا فى توافق الزمن.

طلبنا السلاح أول ما طلبناه من الموردين التقليديين الذين كنا نشترى منهم. كنا نشترى منهم لا ما نريد شراءه من سلاح؛ وإنما ما كانوا يريدون هم بيعه لنا من السلاح، ومع ذلك طلبناه؛ فقد كنا فى حاجة ماسة إلى كل سلاح وإلى أى سلاح، وذلك دائمًا هو موقف الذى يحتاج السلاح ليدفع عن نفسه المعتدى، ويصد عن أرضه المغير.

طلبنا السلاح من أمريكا، وطلبنا السلاح من بريطانيا؛ أما أمريكا فقد سكتت، ثم وعدت، ثم عدلت، ثم عادت إلى السكوت. وأما بريطانيا التى كنا ندينها بجزء من ثمن سلاح تقاضته منا وتأخرت فى توريده، فقد وجدت الشجاعة لتسألنا عما سيكون عليه موقفنا فى باندونج.

إلى هذا الحد كان الربط بين المسألتين، وما من شك أن هذا الربط لا يبدو الآن غريبًا؛ فإن السلاح وباندونج كانا معركتين فى حرب واحدة؛ هى حرب تثبيت الاستقلال. ولم نشأ أن نجعل من رغبتنا فى الحصول على السلاح سدًّا يحول بيننا وبين الشخصية الدولية التى كنا نسعى لتحديد معالمها وتأكيد دورها فى توفير السلام. لم نشأ أن نساوم أو نقايض، أو نبيع ونشترى شخصيتنا.. شخصيتنا الدولية ليست مَوْضوعَ مساومة، ودورنا العالمى ليس سلعة مقايضة، وحقنا فى لقاء الشعوب المتحررة والتعاون معها من أجل سلام البشر جميعًا ليس للبيع أو الشراء؛ حتى ولو كان الثمن سلاحًا نحن فى مسيس الحاجة إليه؛ لكى ندافع به عن حدودنا، وبيوتنا، وأرواحنا، وأولادنا.

وهكذا صممت مصر على الذهاب إلى باندونج فى مؤتمر كان مجرد اجتماعه فى حد ذاته - وبصرف النظر عن أى من قراراته - تحولاً بارزًا فى التاريخ. ومع ذلك فقد توصل المؤتمر إلى عشرة قرارات تعتبر دستوراً للعلاقات بين الدول، قرر المؤتمر احترام حقوق الإنسان الأساسية، وأغراض ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة:

- احترام سيادة جميع الأمم وسلامة أراضيها.

- الاعتراف بالمساواة بين جميع الأجناس وبين جميع الأمم كبيرها وصغيرها.
- الامتناع عن أى تدخل فى الشئون الداخلية لبلد آخر.
- احترام حق كل أمة فى الدفاع عن نفسها انفراديًا أو جماعيًا؛ وفقًا لميثاق الأمم المتحدة.
- الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية الجماعية لخدمة المصالح الذاتية لأية دولة من الدول الكبرى.
- امتناع أى بلد عن الضغط على غيرها من البلاد.
- تجنب الأعمال أو التهديدات العدوانية أو استخدام العنف ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسى لأى بلد من البلاد.
- تسوية جميع المنازعات الدولية بالوسائل السلمية؛ مثل التفاوض، أو التوفيق، أو التحكيم، أو التسوية القضائية، أو أى وسيلة سلمية أخرى تختارها الأطراف المعنية وفقًا لميثاق الأمم المتحدة.
- تنمية المصالح المشتركة والتعاون المتبادل.
- احترام العدالة والالتزامات الدولية.

وفوق هذه القرارات العشرة تعرض مؤتمر باندونج لعدد من القضايا الحيوية التى تتصل اتصالاً مباشرًا بقضية السلام، منها ما يتصل مباشرة بأمن منطقتنا كقضية فلسطين، وقضية شمال إفريقيا، وقضية محميات الخليج العربى. ففى فلسطين أعلن المؤتمر الإفريقى - الآسيوى تأييده لحقوق شعب فلسطين، وفى شمال إفريقيا طالب المؤتمر بحق تقرير المصير للجزائر وتونس ومراكش، ولقد حصلت تونس ومراكش بالفعل على هذا الحق فيما بعد، وستحصل عليه الجزائر مهما حاول الاستعمار وكابر إن شاء الله. أما فيما يتعلق بمحميات الخليج العربى فقد طالب المؤتمر بتسوية سلمية، وأيد موقف اليمن.

وكان بين ما تعرض له مؤتمر باندونج أيضًا من القضايا الحيوية التى تتصل اتصالاً مباشرًا بقضية السلام؛ مجموعة من المشاكل قد تبدو لأول وهلة بعيدة عنا، ولكن النظرة الفاحصة لها توضح لنا أنها فى الحقيقة ونفس الوقت قريبة منا، بينها نزع السلاح، وبينها الدعوة إلى تحريم إنتاج الأسلحة الذرية، وبينها المطالبة بوقف التجارب الذرية.

ولقد أودعنا مكتب مجلسكم محاضر مؤتمر باندونج وقراراته، ولما كانت باندونج طريقًا ومنهاجًا فى العلاقات الدولية؛ فلقد أودعنا فى مكتب مجلسكم جميع البيانات والبلاغات التى صدرت عن المؤتمرات الدولية، التى شاركت فيها مصر، والتى استوحت بشكل أو بآخر مبادئ باندونج.

وفى مقدمة هذه المؤتمرات مؤتمر بريونى؛ الذى شاركت فيه يوجوسلافيا والهند ومصر، وتابعت فيه هذه الدول الثلاث – التى تقاربت سياستها الخارجية – سيرها على نفس الطريق الذى بدأ فى باندونج؛ فتعرضت لمشكلات الشرق الأوسط؛ وفى مقدمتها فلسطين والجزائر، وتعرضت للمشاكل العالمية؛ من بينها الإلحاح فى نزع السلاح. ومن بينها أيضًا مبدأ نادت به مصر ومازالت تلح فى ندائها وتحس بتجاوبها فيه مع كل الشعوب المحبة للسلام؛ ألا وهو وقف تجارب الأسلحة الذرية؛ نظرًا لما تنطوى عليه من أخطار تهدد الإنسانية، وتفسد الجو على نحو يمس الدول الأخرى، ويعرض سلامة مواطنيها للخطر، فوق ما فيه من تجاوز للحدود، وانتهاك للضمير العالمى.

ثم جددت هذه الدول الثلاث إيمانها بالمبادئ التى لا ترى للعالم أمانًا بغيرها؛ وفى مقدمتها حق تقرير المصير لكل الشعوب.

ولم تكن مصر خلال هذا كله – أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة – تفعل ما تفعله بعض الدول المتباهية بقوتها فى هذا الزمان، تطلب الحق لنفسها ولا تطلبه من نفسها، تحتج على الباطل من غيرها ولا تحتج عليه إذا كانت هى

مصدره، تكيل المبادئ والقيم بكيلين.. كيل لنفسها وللضالعين معها، وكيل للمعارضين لها والمشايعين لهؤلاء المعارضين.

كانت مصر تنادى صراحة بما تؤمن به فى ضميرها، وتمارس عمليًا ما تدعو إليه، وتتاسق فى صفاء عادل ما بين لسانها وقلبها؛ لهذا كان من دواعى سرور مصر – حين كانت تنادى فى باندونج بحق تقرير المصير – أن السودان الشقيق الذى قرر مصيره واختار استقلاله – وكانت مصر أول من اعترف له بهذا الاستقلال – كان يشارك كدولة حرة فى نفس مؤتمر باندونج.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

عادت مصر من باندونج بعد أن أوضحت معالم شخصيتها الدولية لتجد معركة الحصول على السلاح فى انتظارها، وكانت هذه المعركة فى الواقع هى معركة كسر احتكار السلاح؛ الذى كان محتكروه يعتمدون فى السيطرة على الشرق الأوسط على هذا الاحتكار. ولقد كانت المعركة طويلة وعنيفة، وعلى أى حال فلم يبق من تفاصيلها خفى إلا ما تفرض السلامة العسكرية وحدها أن يبقى فى طى الكتمان.

والخلاصة أن مصر حين لم تستطع أن تحصل على السلاح من بريطانيا؛ بعد ما كانت دفعت جزءًا من ثمنه، ولم تستطع كذلك أن تحصل عليه من الولايات المتحدة الأمريكية؛ بعد محاولات متكررة وجهود مضنية، ووعود بذلت ثم نسيت؛ لم تجد بأسًا فى أن تطلب شراء السلاح من الاتحاد السوفيتى، وتشترى منه بالفعل شاكرة مقدرة ما ترى أنه يفى باحتياجات الدفاع عنها.

ولكن حصول مصر على السلاح قوبل بثورة صاخبة، وغضبة عارمة، والمؤكد أن الأمر بالنسبة لهؤلاء الثائرين الغاضبين لم يكن أمر سلاح؛ وإنما كان أمر احتكار للسلاح، ولم يكن بالنسبة لهم أيضًا مشكلة بلد يلتمس أسباب الدفاع عن نفسه حيث يجدها؛ وإنما أمر بلد يريد أن يكسر حلقات الحصار، ويتمرد على ما ظل أمرًا واقعًا طوال قرون. ولقد كان أخطر ما فى المشكلة

بالنسبة لهم أيضًا – هؤلاء الثائرين الغاضبين – ليس أن مصر أفلتت من الحصار المضروب حولها فقط، بل كانت ذروة الخطر أن مصر بما أقدمت عليه فتحت الطريق، وأثبتت أن أى حصار لا يمكن أن يصد عن أسباب القوة شعبًا عقد العزم على الوصول إلى هذه الأسباب.

هنا بدأت المعركة الخامسة فى حرب تثبيت الاستقلال.. معركة الضغط الاقتصادى. كنا قد انتصرنا فى معركة الأحلاف فلم نستسلم لأغلالها، وكنا قد انتصرنا فى معركة اشتباكات خطوط الهدنة مع إسرائيل فلم نتخاذل، ولم نلق بأنفسنا تحت أقدام من يفرضون الوصاية علينا، وصممنا على أن الدفاع عن أوطاننا هو مسئوليتنا وحدنا، وأن واجبنا هو أن نرد العدوان بالعدوان. وكنا قد انتصرنا فى معركة الشخصية المستقلة؛ ثم كنا انتصرنا فى معركة احتكار السلاح. ولم تكن هذه الانتصارات كلها لنا وحدنا، وإنما كانت لمنطقة بأسرها؛ رفعت أعلام النصر مزهوة واثقة، سعيدة أنها وجدت نفسها، ووجدت طريقها، ووجدت مستقبلها بعد عصور طويلة من الظلام.

ماذا بقى فى جعبة الذين كانوا لا يريدون الخير لهذه المنطقة؟ إن السلاسل تحطمت، والوصاية سقطت، والشخصية المستقلة برزت، واحتكار السلاح انتهى، لا فى بلد يمكن عزله وحصاره؛ وإنما فى منطقة شاسعة يتدفق فيها تيار واحد؛ هو تيار القومية العربية، يغمر الأرض ما بين المحيط الأطلسى والخليج الفارسى.

كان واضحًا أنه لم يَبْقَ فى الجُعْبة إزاء مصر غير سلاحين – نهاية العداء الذى لا عداء بعده – الضغط الاقتصادى أولاً، فإذا لم يجد فالحرب ثانيًا.. التجويع، فإذا لم تستطع البطون الخاوية أن تجبر القلوب والأرواح على الاستسلام، فسفك الدماء إذًا والنار والحديد. وذلك ما حدث بالفعل؛ لم ينجح سلاح الضغط الاقتصادى الذى اتجه إلينا على مراحل ظلت تشتد وتعنف مرحلة بعد مرحلة، حتى كانت الخاتمة هى سحب عرض المساهمة فى تمويل مشروع السد العالى.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

كنا – ومازلنا – نعتقد أن مشروع السد العالى حجر زاوية أساسية فى مشروعاتنا لمواجهة المستقبل؛ مشروعات رفع مستوى المعيشة، ومشروعات مواجهة الزيادة المطردة فى عدد السكان.. مشروعات توفير العمل للأيدى القادرة عليه، وتوفير الغذاء لأكثر من ٣٠٠ ألف فم تطلب الطعام كل عام؛ زيادة عن العام الذى سبقه. وكان مشروع السد العالى بضخامته رمزًا لتصميم شعب طال تخلفه عن موكب الحياة – عن اللحاق بهذا الموكب – كان المشروع ضخماً، ولكن ضخامته لابد أن تقاس بالحاجة إليه. كان لابد لنا أن نعوض ما فات، وأن نسرع الخطى لا لكى نلاحق الزمن فقط، ولكن لكى نسبق الزمن؛ فلو أن الزيادة المستمرة فى عدد السكان دهمتنا دون أن نكون على استعداد لها، فإن معنى ذلك أن مستوى المعيشة سينخفض كثيرًا عما هو عليه الآن.

ولم تكن ضخامة المشروع سرًّا، ولا كانت سرًّا كذلك آمالنا المعلقة عليه؛ لقد عرضنا المشروع على العالم فرحين به فخورين، نطلب من كل صاحب خبرة أن يدلى لنا برأيه فيه. فلما أجمع كل الخبراء على فائدته ونفعه، بدأت آمالنا المعلقة عليه تتحول إلى طاقة دافعة محركة، وطلبنا قرضًا من بنك التعمير والإنشاء الدولى، وسلمنا المشروع للبنك يدرسه ويحقق تفاصيله؛ كما تفعل أى دولة لديها مشروع من المشاريع تريد عونًا عالميًّا على تنفيذه، وكنا على استعداد لأن نقبل من شروط التمويل ما لا يمس سيادتنا. وفى هذا الوقت تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية ومعها بريطانيا لمساعدتنا؛ تطوعًا منهما، وإظهارًا لحسن النية. وكانَ رأينا أن نقبل كل عون غير مشروط، ولكن الشروط التى توالت، ثم اتضح أن علينا أن نسلم طواعية كل ما ربحناه فى معاركنا السابقة لتثبيت استقلالنا؛ إذا كنا نريد أن نرى أملنا فى بناء السد العالى يتحقق.

ولم نكن على استعداد لأن نشترى الخبز بالحرية، وكانت الضريبة التى فرضت علينا هى سحب عرض المساعدة فى تمويل مشروع السد العالى، والضغط على البنك الدولى كى يسحب – فى نفس الوقت – قرضًا كان قد اتفق

مع مصر على كل شروطه. ولقد تم هذا كله بطريقة لا تدع مجالاً للشك فى أننا وصلنا إلى الجزء الحاسم فى معركة الضغط الاقتصادى؛ وصلنا إلى عملية التجويع، ولم يكن فى استطاعتنا أن نسكت، نتلقى اللُّطْمةَ صاغرين، ثم ننتظر الجوع والبطالة تلاقينا أَشْباحُها الكئيبة فى المستقبل القريب.

وهكذا قررنا تأميم شركة قناة السويس؛ كنا نريد تصحيح جريمة تاريخية قديمة، وكنا - فى الوقت نفسه - نريد أن نحول دون ارتكاب جريمة جديدة تُدَبَّرُ لنا فى المستقبل؛ كان لابد لنا من ناحية أن نغسل عار مصر التى أصبحت للقناة، ومن ناحية أخرى كان لابد لنا أن نصنع فخر مصر التى أصبحت القناة لها.

كان للقناة - فى رأينا - دور عالمى كممر مائى دولى؛ يساعد على تقدم التجارة، ويدفع رياح الرخاء إلى كل الأقطار. ولكن القناة كان لابد لها - فى رأينا - من دور وطنى، فلم يكن مقبولاً أن تكون القناة مصدر خير على العالم، ومصدر شر على وطنها؛ وإنما كان المقبول أن تكون القناة خيرًا على العالم، خيرًا على وطنها.

هكذا اتخذ قرار تأميم شركة قناة السويس؛ حتى يستطيع دخلها أن يساهم فى تمويل مشروع السد العالى، دونما مساعدة خارجية مشروطة، أو قرض دولى مقيد.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

ولقد تم فعلاً إعداد مشروع للبدء فى تنفيذ المرحلة الأولى من بناء السد العالى، ولسوف تعرض تفاصيل هذا المشروع عليكم لتقولوا فيه رأيكم.

سوف تتكلف هذه المرحلة ٦٠ مليونًا من الجنيهات؛ منها ٢٨ مليونًا من العملة الأجنبية، ويستغرق إتمامها ٥ سنوات. ولسوف يعطينا تنفيذ هذا المشروع مليون فدان جديدة من الأرض، فضلاً عن تحويل ٧٠٠ ألف فدان تروى بالحياض إلى الرى الدائم، وتضمن لنا فوق ذلك زراعة ٥٠٠ ألف فدان من الأرز سنويًا. هذا عدا فوائد جمة أخرى؛ بينها مواجهة العجز فى الإيراد المائى

للنيل، وتخفيف العبء على خزان أسوان الحالى. وإذًا فلن نجوع كما كان يراد بنا؛ على العكس سوف يزيد طعامنا، وسوف يزيد دخلنا القومى من الزراعة بنسبة لا تقل عن ٣٥% من قيمتها الآن.

لقد أفلتنا من حصار الجوع وانتصرنا، فلم يعد فى جعبتهم غير القتال، ولقد فرضوه علينا فرضاً، ولم يكن أمامنا إلا أن نحمل السلاح.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

لقد حاولنا جهدنا ألا يكون الاحتكام إلى المدافع، وأظهرنا بكل الوسائل أننا نريد السلام ونحرص عليه، ولكنهم أبوا إلا أن يطلبوا منا الاستسلام. أبدينا استعدادنا لقبول التعاون الدولى فى قناة السويس، ولكنهم كانوا يريدون السيطرة الدولية. حاولوا استثارتنا بكل الوسائل، ولكننا كبحنا جماح عواطفنا، وقررنا أن تكون الغلبة للعقل وللحكمة.. لجأوا إلى التهديد والوعيد، فلجأنا إلى الصبر، لجأوا إلى المؤامرات، ووصل بهم الأمر إلى حد سحب المرشدين والفنيين الأجانب من قناة السويس، فلجأنا إلى رجالنا؛ فإذا حفنة قليلة من الرجال يثبتون للعالم أننا إذا كنا ننشد الحرية؛ فإننا نعرف مسئولياتها. ثم قبلنا بعد هذا كله أن نجلس معهم ونتفاوض بعد توصية صريحة من مجلس الأمن، وتحدد بالفعل موعد للمفاوضات بيننا ٢٩ أكتوبر فى مدينة جنيف.

ولكنهم لم يجيئوا إلى جنيف، بل جاءوا من سيناء ومن بورسعيد، ومن كل سماء فوق مدننا ومصانعنا ومواصلاتنا وجيشنا؛ كانت أعجب مفاوضات فى التاريخ! كان وفد المفاوضات الذى جاءنا، ثلاثة جيوش، ثلاثة أساطيل، ثلاثة قوى جوية!

كانت المفاوضات عدوانًا غاشمًا أراد أن يحطم وطننا، ويدك كل الانتصارات التى حصلنا عليها بأعمالنا وتضحياتنا. هجمت إسرائيل عبر سيناء، وتبعتها بريطانيا عبر البحر، أما فرنسا فكانت قسمين قسم مع إسرائيل عبر سيناء، وقسم مع بريطانيا عبر البحر. وكتب لنا الله النصر فى القتال.. استطعنا

فى حماية قتال مجيد فى أبو عجيلة أن نسحب جيشنا سليمًا من سيناء، واستطعنا فى الوقت نفسه أن نحتفظ بطيراننا عدة وذخيرة لما سيأتى من مفاجآت الأيام.

وكانت خطة العدو ترمى إلى عزل الجيش فى الصحراء وتدميره، واصطياد الطيران عن آخره والخلاص منه. ولكن خطة العدو فشلت، ونجا الجيش ونجا الطيران، ثم تجمعت كل قوانا غرب القنال، استعدادًا لقتال حتى النصر.. تجمعت كل قوانا؛ قوى الجيش وقوى الشعب، وتحملت بورسعيد صدمة العاصفة، ولكن مصر كلها كانت وراء بورسعيد.. مصر كلها، ونحن نقول ذلك حقيقة لا مجازًا.. كنا خلال المعركة وطنًا بأكمله يحمل السلاح.. كنا خلال المعركة وطننا بأسره صمم على القتال، وكان شعارنا أننا إذا كنا نحب السلام ونسعى إليه؛ فإننا نكره الاستسلام ونثور عليه. قاتلنا جميعًا بشرف؛ الرجال والنساء، الأطفال والكهول والشباب، وبارك الله فى شبابنا الذى انتفض يترك مدارسه وجامعاته ووظائفه وبيوته؛ ليحمل السلاح ويمضى إلى المعركة، وعلى شفتيه أغانى البذل والفداء.

كنا نعيش أنبل وأعظم وأمجد ساعات حياتنا؛ لقد عرفنا كيف ننتصر لوطننا، وانتصرت الدنيا معنا لهذا الوطن.. كانت جريمة العدوان علينا فى هاوية العار، وكان شرف مقاومتنا على قمة المجد، وأقبلت الشعوب؛ الشعوب العربية، وكل الشعوب الحرة لنصرتنا. كانت معركتنا معركة العدل، والحرية، وتقرير المصير فى كل مكان، ولكل شعب، وهكذا لما انتصرنا كان النصر لكل هذه القيم فى كل أرجاء الأرض.

ولما انتهى العدوان علينا إلى النتيجة التى انتهى إليها؛ لم يكن ذلك إيذانًا بأن مغامرة طائشة ضدنا قد فشلت؛ وإنما كان ذلك إيذانًا بأن هذه المغامرة الطائشة كانت آخر محاولة من نوعها. إن الحملة المسلحة التى وجهت ضد شعبنا الراغب فى السلام ستمضى فى التاريخ باعتبارها آخر حماقة متخلفة من قرون الغزو والفتح والاستعمار، فإن الضمير العالمى أثبت قوته وأكد سلطانه.

وهكذا انتصرنا فى المعركة السادسة فى حرب تثبيت الاستقلال، لقد فشل الاحتكام إلى المدافع، وانتهى بالوبال على الذين صَوَّبُوها إلى صدورنا، وانتصرنا فى حرب تثبيت الاستقلال كلها بكل معاركها، فلقد كان القتال المسلح أقصى ما يملكه إزاءنا الذين لا يريدون الخير لوطننا. ولقد لجأوا إلى القتال المسلح وخسروا فى الميدان، فماذا بقى فى جعبتهم؟ لا شىء.. اللهم إلا الكراهية والحقد.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

خلال هذه المعركة الدامية فى حرب تثبيت الاستقلال كان واضحًا أن التقاءنا بكم لن يتأخر طويلاً. إن الوعى العظيم الذى أبداه الشعب خلال هذه الأيام الخطيرة المجيدة فى تاريخنا، والنصر الذى انتهى إليه هذا الوعى، حددا موعدنا معاً. لقد زالت العقبات التى كانت تعترض الطريق، تكفلت حرب الاستقلال بتطهير جزء من هذا الطريق.. الاستعمار رحل، والملك ذهب، والإقطاع قلمت أظافره، والأحزاب المتصارعة على الغنائم والأسْلاب طُوِيَت صفحتها، وأصبحت عبْرة من عبر الماضى. وتكفلت حرب تثبيت الاستقلال بتطهير ما بقى من الطريق؛ قيود الأحْلاف لم نستسلم لها، العدوان على حدودنا وقفنا لصدِّه، شخصيتنا المستقلة خرجت وتحددت، احتكار السلاح ضاع سِرُّه وبطل سحره، الضغط الاقتصادى ومعركة التَجْويع أفلتنا منها، والقتال لم يستطع أن يفرض علينا الاستسلام. لقد تم تطهير الطريق بيننا بعد حربين: حرب للاستقلال وحرب لتثبيت الاستقلال، وكان علينا أن نلتقى هنا.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

من دواعى سرورنا أن الأمة جاءت إلى هذا المجلس بأكملها، والحق أن الدور الرائع الذى قامت به المرأة المصرية فى حرب الاستقلال، ثم فى حرب تثبيت الاستقلال، هو الذى حدد مكانها هنا فى هذه القاعة. لقد حصلت المرأة المصرية على كل ما كان ينبغى لها من حقوق، ولم تحصل عليه منحة ولا منة؛

بجهادها جنبًا إلى جنب مع جهاد الرجل، بوقوفها معه في ميدان القتال، بتعرضها لرصاص العدو مثل تعرضه.

إن نصف أمتنا الذى كان معطلاً قد خرج من وراء الحجاب؛ يشارك في البناء، ويساهم فى خلق المجتمع الذى نريده؛ مستندًا على الدين والأخلاق والوطنية، وهى كما حدد الدستور أساس هذا المجتمع الذى نريد.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

لم يكن باقيًا بعد ذلك إلا خطوات قليلة ثم يتحدد يوم لقائنا، وكانت هذه الخطوات فى الواقع من بقايا المعركة الأخيرة فى حرب تثبيت الاستقلال؛ وهى معركة القتال المسلح. كنا نريد أن تعود قناة السويس صالحة للملاحة بعد ما أصابها من آثار العدوان، كنا نريدها أن تعود لتخدم العالم وتخدم وطنها. وبمعونة الأمم المتحدة – التى لابد لنا أن نشيد بدورها فى المعركة الأخيرة كلها؛ سواء فى محاولة إيجاد حل سلمى لمشكلة قناة السويس، أو فى محاولة إيقاف القتال – استطاعت الهيئة المصرية لقناة السويس – بعد جهد لا نشك فى تقدير الوطن له – أن تعيد الملاحة إلى قناة السويس.

وكُنَّا بعد إعادة الملاحة إلى حالها الطبيعى نريد أن نرتب إجراءات تعاوننا مع الأمم المتحدة؛ من أجل إزالة آثار المعركة. وما إن تم ذلك فعلاً حتى تحدد موعد إجراء الانتخابات لعضوية مجلس الأمة، وأنشيء الاتحاد القومى الذى وقفتم أمام جموع الشعب من الناخبين باعتباركم مُرَشحيه، ثم حملتكم الأصوات الواثقة المؤيدة إلى هذه القاعة التى نتشرف جميعاً بالوجود فيها الآن، وهذا هو مجلسكم؛ أمل يتحقق وسعى يصل إلى غايته.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

إن مجلسكم هذا ليس عودة الحياة النيابية إلى هذا البلد؛ وإنما مجلسكم هذا هو بداية الحياة النيابية فى هذا البلد. إن الحياة النيابية ليست مبنى وقاعات

ومقاعد؛ إنما الحياة النيابية الأصيلة إرادة حرة صادرة عن شعب حر. والقول بوجود حياة نيابية تحت جناح الاحتلال، والقول بوجود حياة نيابية تحت سيطرة القصر، والقول بوجود حياة نيابية تحت رحمة الإقطاع، والقول بوجود حياة نيابية تعبث بها الأحزاب ابتغاء وجه المصالح الذاتية الأنانية؛ القول بهذا كله خديعة ألقيت إلى شعبنا؛ لكى تشغله عن كفاحه الحقيقى ضد السيطرة المحتلة من الخارج، والسيطرة المستغلة من الداخل، ولكن شعبنا لم ينخدع، وإنما كافح؛ وكان مجلسكم ثمرة هذا الكفاح.

الآن يمكن أن تكون لنا حياة نيابية، الآن يمكن أن تكون لنا حياة ديمقراطية. الآن ولسبب واحد يمكن أن يكون لنا هذا كله.. لقد أصبحت لشعبنا إرادة حرة، وأنتم رمز هذه الإرادة الحرة.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

هذه هى قصة السنوات الخمس التى تأخر فيها لقاؤنا، قدمنا لكم موجز حسابها، وإذا كان لابد لنا من إلقاء نظرة عابرة على حساب الأرباح والخسائر خلال هذه السنوات الخمس، فإن اعتقادنا الأكيد هو أن أكبر أرباحنا هو الأمل. إن أعظم ما حققته هذه الثورة – فى رأينا – هو أنها أعادت النبض إلى آمال شعبنا؛ فإنه ما من شعب تراكمت عليه آثار الماضى وتبعاته، بل وَعُقَدُه النفسية، مثل شعبنا، ما من شعب تآمر عليه المحتلون الغرباء، ومشوا بالجبروت والطغيان عليه مثل شعبنا، ما من شعب وقع فريسة للاستغلال والتضليل والتغرير مثل شعبنا.

ولقد كان الاعتقاد السائد قبل الثورة هو ألا فائدة؛ يبقى المحتل ولا فائدة، ويستبد الملك ولا فائدة، وتحتكر خيرات البلد ولا فائدة، وتنهب ثرواته وتبعثر آماله ولا فائدة، حتى لقد وصل الأمر إلى حد أن احترقت عاصمة مصر، واندلع اللهب فى قلبها ولا فائدة! كانت هذه العبارة الصغيرة تقرع أسماعنا صباح مساء؛ تسد الفضاء الرحب من حولنا، وتبقى عزيمتنا أسيرة لليأس.

فإذا كانت للثورة قيمة حقيقية – وإن لها لقيمة حقيقية – فهى أن هذه العبارة قد محيت من قاموس شعب مصر.. لقد أصبحت هناك فائدة من كل عمل نقوم به، من كل خطوة نخطوها، ومن كل فكرة تخطر لنا. إن باب الأمل مفتوح على مصراعيه أمامنا، وإن الأمل لدعوة صريحة إلى العمل؛ هذه خلاصة ما حققته الثورة فى جانب الأرباح، وتحته تنطوى كل انتصاراتنا.

بقى جانب الخسائر، وعلينا أن نواجهه بشجاعة وشرف.. ينبغى أن نقول: أمامكم إن سجل السنوات الخمس الماضية لم يخل من أخطاء، والذى لا يخطئ لا يعمل.. لم يخل الأمر من مشروع كان يمكن أن يدرس على نطاق أوسع مما درس؛ ولكن العذر أننا كنا نريد أن نعمل، وكنا فى عجلة متلهفة على العمل، ولقد حاولنا – بعد أن تكشفت عيوب الدراسة المتعجلة – أن نصحح ما وقع من أخطاء، ولقد أمكن بالفعل.

ولم يخل الأمر من هزات سياسية، ولكنها كانت نتيجة عوامل لا يمكن تجنبها، كان بعضها بسبب ظروف المعارك التى خضناها، وكان بعضها الآخر بسبب ظروف محلية مبعثها أن الثورة تولت تقويم نفسها بنفسها أكثر من مرة.

ولم يخل الأمر أيضًا من ظهور بعض العناصر الانتهازية، وتلك ظاهرة طبيعية؛ لأنها انعكاس لغلبة الأنانية الفردية على المصلحة العامة فى نفوس البشر فى كل زمان ومكان. ولم يكن فى هذا عيب؛ وإنما كان العيب ألا نقتلع جذور هذه الانتهازية التى خلطت بين تكافؤ الفرص – وهو حق – وبين استغلال الفرص – وهو باطل – ولقد اقتلعنا هذه الجذور حيث لمحنا نباتها الشيطانى.

ولكن هذه الأخطاء جميعًا كانت مما يمكن علاجه وتسهل مواجهته، والحق أنها مما كان لا مفر من وقوعه فى مثل الظروف التى مررنا بها، بل الحق أنها كانت أقل ما يمكن وقوعه فى مثل التجربة الهائلة التى عشناها؛ فإن الخطأ أول احتمالات التجربة، والتجربة هى التعبير الطبيعى عن العمل.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

لابد لنا وقد استعرضنا حساب الأرباح والخسائر فى ثورتنا أن نذكر صفحة مشرقة من صفحات هذه الثورة؛ تلك هى صفحة الدور الذى أدّاه الجيش فى القيام بها وفى حمايتها. لقد أدى الجيش واجبه بشرف، فكان الأداة التى حققت إرادة الشعب وأعلت كلمته، وفى نُبْلٍ، انسحب الجيش بعدها إلى مواقعه على الحدود؛ فى مشهد رائع من مشاهد إنكار الذات والتضحية فى سبيل المثل الأعلى. إنها صفحة باهرة قل أن يكون لها نظير فى تاريخ أى ثورة غير ثورتنا، شارك الجيش فى قيامها أو تنفيذها. ولا يخالجنا شك فى أن الوطن يحفظ لجيشه هذه الصفحة المشرقة الباهرة، وأن تقدير الوطن لوسام رفيع يعتزُّ الجيش بأن يحتفظ به على صدره دائمًا.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

ذلك هو الماضى والحاضر، فماذا عن المستقبل؟ إننا نريد أن تعرفوا أن الأخطار المحيطة بوطننا لم تنته، وإذا كنا قد انتصرنا فى حرب الاستقلال، وإذا كنا قد انتصرنا فى حرب تثبيت الاستقلال؛ فليس معنى هذا أن الذين كانوا يحاربوننا قد ألقوا السلاح ورضخوا للأمر الواقع.

إن الشواهد حولنا تدل على أن الخطر الذى دفعناه عن أرضنا وعن حدودنا لم تنحسر موجاته؛ هناك أولاً هذا الهجوم الموجه اليوم إلى سوريا الشقيقة؛ إنه هجوم متجه إلى القومية العربية كلها، يحاول أن يقضى على ما أخذت تحققه هذه القومية من انتصارات فى مجالات التحرر، ويحاول أن يقضى أيضًا على ما تنزع إليه هذه القومية من وحدة تجمع صفوف العرب، ومن نهضة ترفع من مستوى الحياة فى الوطن العربى، فالعرب فى جميع أقطارهم متيقظون لهذا الهجوم الاستعمارى الذى تستهدف له سوريا، وهم يؤيدونها بكل قواهم.

ونحن فى مصر - أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة - لا نستطيع أن ننسى أبدًا وقفة سوريا شعبًا وحكومة عند وقوع العدوان على مصر، ولاغرابة

فى ذلك؛ فسوريا كانت دائمًا مركز إشعاع القومية العربية، ونقطة انطلاق العمل للوحدة العربية؛ فهى التى بدأت قبل عام وأعلنت على لسان حكومتها ومجلسها النيابى رغبتها فى الاتحاد مع مصر؛ كخطوة أولى للوحدة العربية. ومصر التى سجلت فى المادة الأولى من دستورها أنها جزء من الأمة العربية لا يمكن إلا أن تتجاوب مع هذا الاتجاه، وترحب بكل مسعى يقرب من هذا الهدف القومى المنشود.

وهناك ثانيًا - أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة - أرصدتنا المجمدة من غير وجه حق، وهناك ثالثًا حرب الدعاية التى أعلنت علينا، وهناك رابعًا مع حرب الدعاية حرب الأعصاب.

وهناك بعد ذلك كله هذا الحديث صراحة عن عزل شعب مصر عن باقى الشعوب العربية، ومحاولة تثبيط مجرى القومية العربية.

لقد يئسوا من سحقنا حيث نحن؛ فبدءوا يحاصروننا بقطع الطريق بيننا وبين إخواننا، ويئسوا من صد تيار القومية العربية؛ فبدءوا يشقون فى طريقه مسالك فرعية، على قوة التيار تتبعثر وتتفرق ويضعف تأثيرها.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

إننا نريدكم أيضًا أن تعرفوا أن هناك سباقًا بيننا وبين الزمن، ويتعين علينا أن نسبق الزمن؛ لا وقت لدينا نضيعه، ولا فرصة أمامنا نبعثرها.. يجب أن نبنى ونبنى ونبنى؛ نبنى لنعوض الماضى، ونبنى لنواجه الحاضر، ونبنى لا لنلحق بالمستقبل فحسب؛ وإنما لكى نسبق هذا المستقبل. ولا يجب علينا أن يدركنا الملل من تذكير أنفسنا دائمًا وفى كل حين بحقيقة الحقائق فى مشاكلنا؛ وهى أن تعداد شعبنا يزداد كل عام أكثر من ٣٠٠ ألف مواطن جديد.

يجب أن نبنى فى كل اتجاه.. يجب أن نبنى الدولة على أساس سليم، اقتصادى وعادل. يجب أن نبنى الحرية السياسية مع الاستقلال الاقتصادى جنباً إلى جنب. يجب أن تكون لنا زراعة سليمة، وصناعة سليمة، وتجارة سليمة،

ويجب أن تكون لنا ثقافة سليمة تنبه الشعب، وتوسع مداركه. ويجب أيضًا – أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة – أن يكون لدينا جيش سليم قادر على حماية كل ما نبنيه.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

لقد وضع الله فى أعناقكم عبئًا كبيرًا من أمانة المستقبل.. إن أمامنا جميعًا تَبِعاتٌ ليس لها عد ولا حصر، ولكن يجب أن يظل أمام ناظرنا دائماً أن أهم هذه التبعات وعقدتها وذروتها؛ هى أن نصنع فى هذه البقعة من الأرض شعباً حياً يقظاً مدركاً، وأفراد البشر هم المادة الخام للشعب الحى المتيقظ المدرك.

من هنا فإن الجهد الحقيقى لبناء مصر المستقبل؛ يَكْمن فى هذه المادة الخام العظيمة التى أودعها الخالق عز وجل سر الوجود.

إن بناء المصانع سهل، وبناء المستشفيات ممكن، وبناء المدارس مستطاع، ولكن بناء الأفراد.. بناء البشر؛ هو الصعب العسير. وما من شك أن بناء المصانع والمستشفيات والمدارس مساهمة بعيدة المدى فى بناء البشر، إلا أن هناك اعتبارات نفسية وأخلاقية ومعنوية لها من التأثير أكثر مما للمصانع والمستشفيات والمدارس.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

إذا كان مستقبلنا حافلاً بالمسئوليات فإن الله تعالت قدرته قد منحنا من الوعى ما يعيننا على تحمل أعباء هذه المسئوليات.. إننا فى حاجة إلى تجنيد طاقة هذا الوعى لكى تنير أمامنا سبل الأمان. لابد أن ندرك – أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة – أن اتحاد أمتنا هو أول سبل أماننا فى بناء وطننا.. إن الاتحاد هو الدعامة الرئيسية التى لا يمكن أن يرتكز بناؤنا على غيرها، ولم يكن إنشاء الاتحاد القومى إلا الإطار الذى يحيط بهذا الاتحاد ويرسم شكله العملى، لا فرقة بيننا ولا فتنة ولا أحقاد؛ فإن الأمة فى حاجة إلى أن تعبئ نفسها، وتحشد

مواردها وإمكاناتها حتى تستطيع أن تفسح لنفسها مجالاً تحت الشمس. لقد كان الاتحاد هو الحصن الذى اعتصمت به كل الأمم فى أعقاب ثوراتها الكبرى، وهو نفس الحصن الذى يتعين علينا أن نعتصم به، ولكنه ينبغى أن يكون مفهومًا أن اتحاد الأمة ليس معناه الجمود عن الحركة الخيرة، والشلل عن التطور الهادف لمصلحة المجموع، وكبح الآمال عن أن تتطلع إلى آفاق أرحب.

ويجب أن ندرك أيضًا - أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة - أن عدم الانحياز فى المجال الدولى هو سبيلنا الثانى إلى الأمان.

إن العالم من حولنا ملئ بعداوات ومنازعات لا شأن لنا بها، فإذا كان لابد لنا أن نقول كلمة فى مشاكل العالم؛ فيجب أن تكون كلمتنا هى السلام القائم على العدل، ولن يتأتى ذلك بالانحياز لفريق دون فريق، أو الانسياق فى ذيل كتلة ضد كتلة أخرى؛ ذلك أدعى لكرامة دورنا الدولى، ثم هو أدعى - فى الوقت نفسه - لوحدة صفنا الوطنى.

ولابد أن ندرك ثالثًا - أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة - أن القومية العربية هى أمضى أسلحتنا فى الدفاع عن وطننا؛ سواء فى ذلك حدودنا المصرية المحلية، أو حدودنا العربية الشاملة. إن القومية العربية نداء عاطفى، ورابطة تاريخية، ومصلحة مشتركة، ثم هى بعد ذلك كله ضرورة استراتيجية تفرضها مقتضيات الدفاع العسكرى البحت، وإن الدرس الذى تعلمناه من تجربة العدوان على مصر أكد هذه الضرورة، وقدم السند العملى لها.

وإن ما حدث فى سوريا العظيمة مثلاً لم يكن مجرد مشاركة فى المشاعر، وتجاوب فى الأحاسيس؛ بل كان أعمالاً عسكرية لها حسابها فى احتمالات ميدان القتال.. كان نسف أنابيب البترول عملاً عسكريًا، وكانت احتشادات القوات السورية على حدودها مع إسرائيل عملاً عسكريًا، وحتى التعبئة العاطفية فى شوارع دمشق وحلب وحمص وحماه؛ كانت طاقات لها تأثيرها العسكرى فى ميدان القتال.

كذلك – أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة – كانت غضبة الشعوب العربية كلها فى السودان، فى العراق، فى السعودية، فى الأردن، فى لبنان، فى ليبيا، فى اليمن، فى الكويت، فى البحرين، فى قطر، وفى تونس والمغرب والجزائر؛ كان المعنى الهائل لهذه الغضبة أن جبهة القتال قد اتسعت على المعتدى.

هذه – أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة – هى سبل الأمان الثلاثة المفتوحة أمامنا.. اتحاد يصون بلادنا من الداخل، عدم انحياز يصون بلادنا فى الداخل وفى الخارج، قومية عربية تكفل اتساع جبهة القتال على المعتدى على أى من الشعوب العربية؛ وبذلك يستبين سيرنا ولا تتخبط خطانا فى الظلام.

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

وفقكم الله وسدد خطاكم، وأعانكم على مسئولياتكم، وحقق بكم أمانة الذين منحوكم ثقتهم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

١٩٥٧/ ٧/٢٦

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر

فى المؤتمر الشعبى بميدان المنشية بالإسكندرية بمناسبة الاحتفال بعيد الثورة

■ **أيها المواطنون:**

ها نحن نلتقى بعد عام مجيد.. ها نحن نلتقى وقد أراد لنا الاستعمار ألا نلتقى.. ها نحن نلتقى بعد جهاد طويل مرير ثبتنا به دعائم الحرية فى هذا الوطن، ورفعنا فيه راية الكرامة بين أرجاء العالم.. ها نحن نلتقى وقد خلصنا الحقوق، وأصبحت القناة ملك لمصر، وأصبحت القناة لمصر بعد أن كانت مصر للقناة.

ها نحن نلتقى - أيها الإخوة - بعد أن مررنا بتجربة شعب يستخلص حقوقه، ويرفض أن يكون عضواً فى مناطق النفوذ.. بعد أن مررنا بالتجربة ضد الغدر والطغيان والتحكم والسيطرة، واستطعنا أن ننتصر بفضل اتحادنا.

واليوم - أيها المواطنون - فأنا سأقول لكم قصة هذا العام المجيد.. قصة كفاح شعب وكفاح أمة من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال. اليوم بفضل وعى الشعب المصرى، وبفضل وعى كل فرد منكم استطعنا أن ننتصر، وبفضل هذا الوعى وبعون الله وقدرته سننتصر دائماً، وسنبنى دائماً الأمجاد تلو الأمجاد، والانتصارات تلو الانتصارات، ونثبت بين دعائم هذا الوطن الحرية والعدل والكرامة والمساواة.

ها نحن نلتقى بعد عام طويل أعلن فيه تأميم القناة، ودخلنا فى معركة طويلة مريرة ونحن أشد قوة وأشد عزماً على الحقوق، ونحن أشد قوة وأشد تصميماً على الحرية، ونحن أشد قوة وأشد تصميماً على إقامة عدالة اجتماعية بين ربوع هذا الوطن، وعلى خلق وطن ترفرف بين أرجائه الرفاهية، وترفرف بين أرجائه السعادة.. ها نحن نلتقى اليوم ونحن أشد عزماً، وأشد إيماناً.

لقد قوبل تأميم القناة بثورة عارمة وحرب أعصاب وتهديد ووعيد، وكان الهدف هو أنتم، لم يكن الهدف أبداً جمال عبد الناصر؛ لأن جمال عبد الناصر بمفرده لا يمثل شيء، ولكن الهدف كان شعب مصر.. شعب مصر اللى شاف طريق الحرية، وخرج فى هذا الطريق ليبنى بناء الحرية.

بعد تأميم القناة بدأت حرب الأعصاب، وبدأ التَّهْديد، وبدأ الوعيد، وبدأ الاستعمار يهدد بالحرب، ويهدِّد بالقوة، ويهدد بالعدوان. ولكن شعب مصر الذى كان يثق فى نفسه ويثق كل فرد منه فى أخيه، استطاع أن يصمد، واستطاع أن يتحد، واستطاع أن يصمد أمام دسائس الاستعمار، فبعد أن انتهى أعوان الاستعمار لم يكن للاستعمار أية قوَّة بين أرجاء هذا البلد. وقابلنا الثورة العارمة والتهديد والوعيد بالصبر، وقابلنا حرب الأعصاب والحرب الباردة بالإيمان والتصميم، وبدأنا معركتنا ضد قوى غاشمة؛ قوى الاستعمار، وبدأت الحرب السياسية تأخذ سبيلها نحونا، وبدأ مؤتمر لندن يدعو إلى تدويل القناة.. القناة التى تعتبر جزء من مصر.. جزء لا يتجزأ من مصر.

ودعت دول الاستعمار إلى عقد مؤتمر فى لندن، وكانت تعتقد أنها بواسطة السياسة وبواسطة الدبلوماسية ستستطيع أن تغتصب القناة من مصر، وستستطيع أن تأخذ القناة من أبنائها بعد أن استعادوها. ولكن مؤتمر لندن الذى قرر تدويل القناة، أراد أن يفرض علينا هذا فرضاً؛ وأرسل مؤتمر لندن بعثة تمثل المؤتمر برئاسة "منزيس" – رئيس وزراء أستراليا – وَقَدِمَ إلى مصر وهو يطلب منا أن نقبل تدويل القناة، وكان يحيط "بمنزيس" جو من التهديد وجو من الوعيد، وكانوا يعتقدون أننا سنستجيب لهذا التهديد وسنستجيب لهذا الوعيد. وحينما قرروا عقد

مؤتمر لندن كنا نتذرع بالصبر، وكنا نبحث أمر اشتراكنا فى هذا المؤتمر حتى لا ندع لهم فرصة ليتخذوها ليقوموا بالعدوان ضدنا، ولكنا رأينا ألا سبيل لنا من حضور هذا المؤتمر. كان من الواضح أن وجودنا فى هذا المؤتمر لن يغير ولن يبدل؛ لأن الفكرة ماكانتش فكرة تأميم القناة.. الفكرة كانت ضرب شعب استيقظ، شعب رأى الحياة، دولة أرادت أن تبنى لنفسها سبل القوة؛ دى كانت الفكرة الأساسية، ماكانتش الفكرة تأميم القناة.

كان التاريخ بيعيد نفسه مرة أخرى؛ فى سنة ١٨٤٠ قامت مصر وبنت لها قوة عسكرية وأثبتت وجودها فى العالم، فلم تتركها دول الاستعمار؛ ولكنها تكاتفت عليها من أجل هدم هذه القوة العسكرية. وكان التاريخ فى سنة ١٩٥٦ يعيد نفسه، ولم تكن القناة إلا العذر الذى اتخذوه؛ كانت فرنسا ترى فى مصر وفى وجود مصر وفى قوة مصر تهديداً لمطامعها الاستعمارية فى شمال إفريقيا، وكانت بريطانيا ترى فى مصر وفى قوة مصر وفى انتصار مصر تهديداً لنفوذها فى الشرق الأوسط.

وكان تأميم القناة هو العُذْر الذى اتخذوه من أجل تحطيم قوة مصر، ومن أجل السيطرة على مصر، ومن أجل استعادة احتلال مصر.. لم تكن القناة إلا الحجَّة التى اتخذوها. وأتى "منزيس"، إلى مصر ومعه لجنة تمثل الدول الثمانية عشر، وأتى بالتهديد والوعيد. وقابلت "منزيس" وبدأ يطالب بتدويل القناة، وكان ردنا أن القناة جزء من مصر، وأن القناة لا يمكن أن تدول، وأن القناة تمر فى أرض مصر ويعيش على أجنابها أبناء مصر؛ فإذا دَوَّلْتُم القناة فلن تكون هناك قناة؛ لأن شعب مصر لن يسمح لكرامته أن تنتقص، ولن يسمح لسيادته أن تمس، ولن يسمح لعزته أن تهان.

وبدأ "منزيس" يقابلنا بالتهديد وقال: إن القناة إذا لم تُدَوَّلْ فستصابوا بمتاعب لا أول لها ولا أخر، وقلت له: وأنا أقول لك إنكم إذا دولتم القناة فستصابوا بمتاعب لا أول لها ولا آخر، وإذا كانت المتاعب ستقابلنا على أى حل من

الحلول سواء دُوِّلَت القناة أو رفضنا تدويلها، فخير لنا أن نبدأ المتاعب من الآن، ولا داعى لأن نستمر فى المفاوضات.

وبدأ "منزيس" يتقهقر وينسحب، وبدأ وفد المفاوضات الذى حضر معه يمثل مؤتمر لندن يتدخل ليلطف الجو، وقلت "لمنزيس": لا أرى داع لأن نستمر فى المباحثات بعد هذا التهديد، ونحن لا نقبل التهديد. نحن نقبل أن نتعاون مع جميع الدول، ولكنا لا نقبل بأى حال من الأحوال أية سيطرة دولية أو أى تهديد دولى. نحن نقبل أن نتعاون من أجل مصلحة العالم ومن أجل مصلحة مصر، ولكنا لا نقبل بأى حال أن نكون ضَحيَّةً من أجل خير العالم، وأن يكون نصيبنا السيطرة من أجل مصلحة العالم.

وعاد "منزيس" إلى لندن يجر أذيال الخيبة ويجر أذيال الفشل؛ لأنه كان يؤمن إيماناً عميقاً - بعقليته الاستعمارية - أن القناة لابد أن تدول، وأن القناة لابد أن تكون ملكاً للدول الاستعمارية، ولم يكن يؤمن بأى حال من الأحوال أن مصر يمكن أن تدير القناة، أو أن مصر يمكن أن تضع يدها على القناة، وعاد "منزيس" إلى لندن.

وذهبوا إلى الأمم المتحدة يَشْتكونَ مصر، ويطلبون من مجلس الأمن أن يتدخل. وذهبنا إلى الأمم المتحدة.. ذهبنا إلى الأمم المتحدة ونحن نهدف إلى التعاون.. ونحن نهدف إلى التعاون مع الأمم التى تريد التعاون، ونحن نهدف أن نصل - بأى سبيل من السبل - إلى حل يجنبنا العدوان ويجنبنا الحرب. وذهبنا إلى الأمم المتحدة، ولكن - كما قلت لكم - ولكن الاستعمار كان يبيت أَمْراً، وكان يهدف إلى العدوان؛ لم يكن الأمر مشكلة القناة، ولم يكن الأمر تأميم القناة، ولكنه كان يهدف إلى السيطرة على الشرق الأوسط، وكان يهدف إلى إقامة مناطق النفوذ.

وانتهى الدور الذى قامت به الأمم المتحدة بمفاوضات بين مصر وفرنسا وبريطانيا؛ وهذه المفاوضات التى اتخذت سبيلاً فى نيويورك، وكان مُقَرَّراً لها

أن تستأنف، لم يرض الاستعمار بأى حال من الأحوال أن يستأنف المفاوضات؛ لأنه كان يريد أن يذل هذا الشعب، وكان يريد أن يُؤَدِّبَ هذا الشعب، وكان يريد أن يعطى لمصر درساً حتى تستوعبه الدول الأخرى والأمم الأخرى التى تَصْبو إلى الحرية، والتى تصبو إلى القوة، والتى تصبو إلى رفع علم السيادة، وإلى رفع علم العزة، وإلى رفع علم الكرامة.

وعلى هذا - أيها الإخوة المواطنون - تآمر الاستعمار مع إسرائيل ربيبة الاستعمار.. إسرائيل رأس جسر الاستعمار، إسرائيل التى أقاموها فى هذه المنطقة لتكون وسيلة لتحقيق خططهم، لتكون وسيلة للعدوان على الدول العربية.. تآمروا بخبث، وتآمروا بمكر، وتآمروا بطريقة لا تدعو إلى الاحترام، ولكنها تدعو إلى السخرية، وتدعو إلى الرِّثاء، وتدعو إلى الاشمئزاز.

وفى يوم ٢٩ أكتوبر بدأت إسرائيل تهاجم الحدود المصرية، وكنا نعتقد أن إسرائيل التى تعرف قوة مصر، والتى تعرف قوة الجيش المصرى لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تجرؤ وتتخطَّى الحدود لتقابل القوات المصرية، فى الوقت الذى تريد وفى الأرض التى تريد. ولكن إسرائيل استمرت فى سبيلها.. إسرائيل استمرت تتقدم فى صحراء سيناء، ولم نكن نشعر مُطْلَقاً أن بريطانيا وصل بها الأمر لأن تقامر بقيمتها وبسمعتها فى الشرق الأوسط؛ حتى تتعاون مع إسرائيل فى الهجوم على مصر، ولم نكن نتصور أبداً أن بريطانيا تقامر بكل شىء.. تقامر بكل شىء فى هذه المنطقة، وتتعاون مع إسرائيل فى الهجوم على مصر.

وهجمت إسرائيل، وقررنا أن نقابل إسرائيل ونعطيها درساً لا تنساه فى منطقة سيناء، فى أرض نختارها وفى وقت نختاره، ولكن الخديعة والمؤامرة بدأت فى الظهور. اتضح لنا فى اليوم التالى للعدوان أن إسرائيل لم تكن وحدها، وأن إسرائيل معها مساعدات تزيد عما تملك من قوات.. كنا نعرف أن إسرائيل عندهم ٦٠ طيارة "مستير"، فى اليوم التالى كان واضح إن الطيارات الإسرائيلية اللى موجودة فى الجو تدل على إن إسرائيل عندهم أكثر من ٦٠ طيارة.

فى اليوم التالى أفاد الطيارون المصريون أنهم يعتقدوا أن سلاح الطيران الفرنسى يشترك مع إسرائيل فى العدوان. فى اليوم التالى كانت المؤامرة واضحة، ولكنها لم تكن ظاهرة كل الظهور. وكنا نحشد قواتنا لمقابلة قوات إسرائيل، وكانت هذه بالنسبة لنا هى الجولة التى سنحقق فيها حقوق شعب فلسطين.. الحقوق التى ضاعت، سنحقق فيها الانتقام لمعركة ١٩٤٨.

ولكنا فوجئنا بالاستعمار بكل قواته يساند إسرائيل، ولم تكن المعركة - أيها الإخوة المواطنون - معركة إسرائيل، ولكنها كانت معركة الاستعمار وقُوَى الاستعمار.. معركة الاستعمار الذى وقف سنة ١٩٥٠ يعلن أنه يضمن الحدود فى الشرق الأوسط، ويعلن فى البيان الثلاثى أن يضمن سلامة الدول العربية ضد عدوان إسرائيل، ويضمن سلامة إسرائيل ضد عدوان الدول العربية. ولم نكن نثق أبداً بأى حال من الأحوال فى هذا الوعد؛ وقد أثبتت لنا الأيام أن دولتين من الدول التى أعلنت هذا الإعلان اشتركتا مع إسرائيل فى العدوان على مصر؛ فهى لم تقف موقف المتفرج، ولم تقف موقف المحايد، ولم تقف موقف البوليس الذى كانت تنادى به فى تصريحها، ولكنها اتخذت موقف المعتدى وموقف المشترك فى العدوان.

حينما قامت إسرائيل بالعدوان بدأت البحرية المصرية بغارة على حيفا، وفوجئنا بأن سفينة من السفن المصرية هى إبراهيم ضربت. وكان هذا الخبر وقعه علينا كبير، فلم نكن نتصور أن بحرية إسرائيل تستطيع أن تقوم بهذا العمل، وخرجت إسرائيل تهلل وتعلن على العالم أجمع أنها استطاعت أن تغرق سفينة مصرية. ولكن الأيام أثبتت كذب ادعائهم، وأثبتت أن البحرية المصرية استطاعت أن تصل إلى ميناء حيفا، وتضرب ميناء حيفا أمام بحرية إسرائيل، ولكنها تعرضت للبحرية الفرنسية الغادرة، فقد أذيعت أسرار الحملة على مصر، وأذيع ضمن هذه الأسرار أن ثلاث بوارج فرنسية ومعها طائرات فرنسية كانت فى إسرائيل للدفاع عن إسرائيل. البوارج "كيرسان" و"سيركوف" و"بوفيه" كانت موجودة عند ميناء حيفا، وهى التى تعقبت السفينة المصرية إبراهيم، وهى التى

اشتبكت معها، واستطاعت سفينة مصرية واحدة صغيرة أن تحارب وتصمد لثلاث بوارج فرنسية كبيرة، وقاتلت حتى النهاية، حتى أصيبت إصابات عظيمة. هذه هى حقيقة المعركة، وهذه هى حقيقة القتال.

ولكن إسرائيل وأعوان إسرائيل وأسياد إسرائيل وخلقة إسرائيل أرادوا أن يعطوا لإسرائيل الفخر؛ فقالوا: إن السفن الإسرائيلية استطاعت أن تأسر السفينة المصرية. ولكن الله أراد لهم الخزى وأراد لهم العار حين أعلنت الأسرار الكاملة عن الحملة العدوانية على مصر والعدوان الثلاثى، وثبت بوضوح أن السفينة إبراهيم الأول كانت تقاتل ثلاثة مدمرات فرنسية عند شواطئ حيفا، وأنها صمدت وقاتلت بشرف وقاتلت بشجاعة.

هذه - أيها الإخوة المواطنون - هى أسرار القتال.. وهى أسرار المعركة، لقد أرادوا فى هذه الأيام أن يشوهوا القتال ويشوهوا المعركة، ولم يكونوا أبداً بأى حال من الأحوال ليعترفوا بالهزيمة، أو ليعترفوا بقوة تصميم القوات المصرية، أو بقوة البحرية المصرية. وحينما أذيعت أسرار الحملة على مصر وأسرار العدوان قالوا: إن "بن جوريون" حينما طلبوه فى فرنسا لكى يتآمروا معه على الهجوم على مصر، قال لهم: "إننى لا أستطيع أن أواجه مصر بسلاحها الجوى، وإننى أطلب منكم - طلب من فرنسا وطلب من إنجلترا - أنهم يحموا له بلاده - جوه إسرائيل - بالطيران الفرنساوى"، وأنهم فى نفس الوقت يهاجموا الطيران المصرى علشان ما يمكنهوش من أنه يهاجم البلاد الإسرائيلية؛ هذه هى إسرائيل، وهذه هى خرافة إسرائيل.

كان يطالب بسلاح طيران فرنسى علشان يحميه، ويحمى كل بلد من بلاده، وبسلاح طيران أيضاً فرنسى وإنجليزى علشان ييجى يضرب المطارات اللى عندنا، ويدمر الطائرات المصرية، ويدمر المطارات المصرية؛ حتى يستطيع أن يتقدم بسهولة، وحتى يستطيع أن يدعى لنفسه النصر، وحتى يستطيع أن يدعى أنه استطاع أن يخترق الحدود المصرية ويتوغل ضمن الأراضى المصرية. وهذا ما حدث - أيها الإخوة المواطنون - فرنسا ادت إسرائيل ٣ أسراب من

الطائرات الفرنسية، وحطتها فى مطار اللد؛ علشان تحمى إسرائيل ضد الهجوم الجوى المصرى.

سفن فرنسا كان بتحمى شواطئ إسرائيل ضد الهجوم المصرى البحرى، وفى نفس الوقت سفن فرنسا كانت بتساعد القوات البرية الإسرائيلية بالمدفعية فى أثناء هجومهم. وفى أحد الكتب اللى بيبين أسرار الحملة على مصر؛ قال بالحرف الواحد: "إن أمام رفح حوصرت مدرعات الجنرال "لاسيكوف" الإسرائيلى، وأخذت البحرية الفرنسية تطلق نيرانها على رفح حيث صمد المصريون بقوة".

هذا الكلام - يا إخوانى - حصل فى يوم ٢ نوفمبر بعد أن صدرت الأوامر للجيش المصرى بالانسحاب، وكانت قوات رفح فى هذا تقاتل بشجاعة وتقاتل بقوة، وكانت المدرعات الإسرائيلية عاجزة أمام القوات المصرية المدافعة. وحينما أعلنت الأسرار؛ أسرار العدوان الثلاثى على مصر، اعترفوا أن المدرعات الإسرائيلية كانت محاصرة، ولم تكن تستطيع أن تتقدم، وأنها استعانت والتجأت إلى البحرية الفرنسية حتى تعاونها بالمدفعية، واتجهت البحرية الفرنسية إلى رفح حتى تضرب القوات المصرية من البحر؛ القوات المصرية التى كانت صامدة، والتى كانت تدافع بالقوة، والتى استطاعت - كما أُذيعَ فى هذه الأسرار - أن تحاصر المدرعات الإسرائيلية المتقدمة. هذه - يا إخوانى - هى حقيقة القتال.. وهذه - يا إخوانى - هى حقيقة المعركة.

كلكم تعلمون وأنا باقول هذا الكلام وهذه الأسرار؛ لأن احنا بفضل الوعى اللى تسلحنا به فى العام الماضى استطعنا إن احنا نصد العدوان، ونقاوم حرب الأعصاب، ونقاوم الحرب الباردة، ونقاوم حرب الدعايات.

كان كل فرد منكم.. كل فرد من أبناء مصر مسلح بالوعى، يعرف مين هم أعداؤه، ومين هم أصدقاؤه، إيه الكلام اللى يراد الخير به لمصر، وإيه هو الكلام اللى بيراد به الشر لمصر. كان كل واحد بيستطيع أن يقابل هذه القوى الكبرى؛

لأنه مسلح بالوعى، ولأنه مسلح بالمعرفة، ولأنه بيثق فى نفسه وبيثق فى بلده وبيثق فى وطنه، وبيعتقد إن الحكومة اللى بتحكمه حكومة بتعمل من أجله ومن أجل إقامة حياة سعيدة له. النهارده باقول لكم الحقائق، وباقول لكم الأسرار، وباقول لكم المواقف اللى احنا قابلناها طوال هذه السنة اللى بنينا فيها أمجاد مصر.

فى يوم ٣٠ أكتوبر بلغ إلينا الإنذار الإنجليزى - الفرنسى؛ أعجب إنذار فى التاريخ، بيطالب بأن تسمح مصر لبريطانيا وفرنسا فى خلال ١٨ ساعة بأن تحتل بورسعيد والإسماعيلية والسويس، وفى نفس الوقت بأن تنسحب القوات المصرية والإسرائيلية ١٠ ميل على جانبى القناة.. أعجب إنذار ممكن أن يوجه من دولة إلى دولة؛ السماح بالاحتلال المؤقت؛ كما قال الإنذار. وطبعاً إسرائيل كانت سعيدة بهذا الإنذار؛ لأنه بيحقق لها أهدافها ويحقق لها آمالها، ولكن مصر كانت الضحية لهذا؛ لأنه كان حيجعل منها دولة محتلة.. محتلة بإسرائيل لغاية ١٠ ميل شرق القناة، ومحتلة بإنجلترا وفرنسا على طول القناة.

ورفضت مصر الإنذار، وأعلنت أنها ستقاتل دفاعاً عن كرامتها، وأن الشعب المصرى كله سيهب تحت السلاح.. أعلنت مصر أن الشعب المصرى سيكون رجل واحد فى الدفاع عن كرامته، وفى الزَّوْدِ عن حريته. وقمنا يوم ٣١ أكتوبر نقابل العدوان البريطانى - الفرنسى - الإسرائيلى، وكانوا يعتقدون أن شعب مصر سيهب لنجدتهم.. كانوا الإنجليز والفرنساويين بيعتقدوا إن الشعب المصرى حيقوم علشان يساعدهم فى الدخول.. كانوا بيعتقدوا إن الشعب المصرى حييسر لهم سبل الدخول إلى مصر، ولكن خاب فألهم؛ القوات المصرية قررت الانسحاب؛ لأن كان هدفنا المحافظة على القوة المصرية الرئيسية.. قوة الجيش المصرى.

وزى ما قلت لكم: لم يكن الهدف ولم يكن السبب تأميم القناة؛ ولكن كان السبب مصر وقوة مصر، وجيش مصر اللى أصبح قوة لأول مرة بعد سنة ١٨٤٠، فكان الهدف اللى كنا بنسعى إليه وغرضنا اللى كنا بنهدف إليه هو أن

نهزم غرضهم. هم كانوا يهدفوا إنهم يُحصروا الجيش المصرى بين إسرائيل التى تتقدم من الحدود الشرقية، وبين قوى العدوان والاستعمار الفرنسية - البريطانية التى تتقدم على طول القناة؛ وبهذا يحصروا الجيش المصرى ويستطيعوا فى الصحراء أن يقضوا عليه، وكان هدفنا الرئيسى أن ينسحب الجيش المصرى كاملاً.

وانسحب الجيش المصرى بعد معركة مَريرةٍ؛ معركة على الحدود بين قواتنا المصرية فى أبوعجيلة، وبين القوات اليهودية المتقدمة على طريق أبوعجيلة - الإسماعيلية. كانت قوات إسرائيل التى هاجمت أبوعجيلة من ٣٠ أكتوبر إلى ٢ نوفمبر يوم الانسحاب مكونة من ٣ لواءات؛ اللواء المدرع السابع، واللواء المشاة الرابع، واللواء المشاة ٣٧.. لواءين مشاة بـ ٦ كتائب ولواء مدرع بالدبابات.

وكان لنا فى أبوعُجيلة كتيبتين مشاة فقط، ومعهم بعض الأسلحة المعاونة. ومن يوم ٣٠ أكتوبر إلى يوم ٢ نوفمبر هجمت إسرائيل على مواقعنا فى أبوعجيلة؛ هذه المواقع المصرية المدافعة التى كانت تستر انسحاب الجيش المصرى اللى كان تقدم إلى وسط سيناء. استمرت إسرائيل تهاجم من ٣٠ أكتوبر إلى ٢ نوفمبر، وصدت قواتنا الهجوم وهزمته لأول مرة ولثانى مرة ولثالث مرة، واستماتت فى مواقعها حتى حل وقت انسحابها مساء ٢ نوفمبر، وانسحبت مساء ٢ نوفمبر، ولم تستطع إسرائيل أن تقتحم مواقع أبوعجيلة بواسطة لواءين من المشاة ولواء مدرع قصاد كتيبتين من الجيش المصرى.

دى - يا إخوانى - الحقائق. طبعاً الصحف الغربية.. صحف الاستعمار اللى كانت بتسيل بالحقد، وتسيل بالكراهية لم تستطع ولم ترد أن تعترف بهذا؛ لأن هذه الهزيمة لم تكن هزيمة فقط لإسرائيل، ولكنها كانت هزيمة للاستعمار بِأَجْمَعِه، كانت هزيمة للعدوان الغاشم ولسياسة استخدام القوة، كانت هزيمة للوسائل اللى كانت بتتبع فى القرن التاسع عشر، كانت هزيمة للتآمر والخسة والندالة. استطاعت كتيبتين من الجيش المصرى فى أبوعجيلة أن تصمد أمامَ

لواءين مشاة ولواء مدرع، وأن تنفذ الواجب الملقى على عاتقها، وألا تنسحب من مواقعها إلاّ فى الموعد المحدد وهو مساء ٢ نوفمبر. وأنا أقول اليوم لكل من يتكلم عن معركة سيناء: اسألوا إسرائيل عن أبوعجيلة، ولتقل لنا إسرائيل ماذا حصل فى معركة أبوعجيلة.. اسألوا إسرائيل عن الخسائر التى تكبدتها فى أبوعجيلة. وكانت - أيها الإخوة المواطنون - أبوعجيلة هى المعركة الوحيدة التى قامت فى هذا الوقت بين الجيش المصرى وبين إسرائيل.

وكانت معارك الطيران اللى حصلت فى اليومين دول هى المعارك الوحيدة اللى حصلت بين مصر وبين إسرائيل.. مش بس إسرائيل، طبعاً مع فرنسا اللى كانت بتساعد إسرائيل من مطارات إسرائيل. وفى كتاب "أسرار الحملة على مصر" - ودا كتاب فرنساوى - قالوا: إن الإسرائيليين فى جنوب سيناء أعلنوا وصَرَّحُوا قبل انسحاب الجيش إن الطائرات "الميج" كانت تهاجمهم كالكلاب المسعورة - بهذا اللفظ كالكلاب المسعورة - وإنهم تَكَبَّدوا منها خسائر فادحة.

دى المعارك اللى احنا خُضْناها فى اليومين الأولين من أيام القتال، وبعد هذا قررنا أن ننسحب لنوحد قوى الجيش مع قوى الشعب؛ لنواجه العدوان الأعظم. وانسحبنا وتركنا قوة للمؤخرة، وتركنا أهالى فلسطين فى غزة، وقاتلوا قتالاً باسلاً ضد العدوان الإسرائيلى.. قاتلوا ببسالةٍ وقاتلوا بتصميم وقاتلوا بإصرار، وتركنا قوات من الحرس الوطنى فى غزة أيضاً قاتلت قتالاً مجيداً، وعدنا غرب القناة لِنُوَحِّدَ قوى الجيش مع قوى الشعب لنواجه العدوان الأكبر. وكان هذا الانسحاب - أيها الإخوة - هو أول عامل من عوامل النصر؛ فإن غرض الاستعمار الذى كان يهدف إلى هزيمة الجيش المصرى وتدمير قواته لم يتحقق؛ لأن الجيش المصرى استطاع أن ينجو، واستطاع أن ينسحب غرب القناة انتظاراً للمعركة الفاصلة، والمعركة الكبرى.

وقد كان الاستعراض الذى تم فى القاهرة أول أمس أكبر دليل على أن الجيش المصرى أَقْوَى مما كان عليه فى العام الماضى، وأقوى بأسلحته مما كان عليه فى العام الماضى وأكثر، وأن كل ما قاله الاستعمار وما قالته صحافة

الاستعمار لم تكن إلا أمانى حُلوة تمنوها ورغبات جميلة يرغبوها، ولكنهـا لـم تَكُنِ الحقيقة بأى حال.

لقد تكبَّدنا الخسائر، وكنا لابد أن نتكبد بعـض الخـسائر، ولكـن القـوات الرئيسية فى الجيش المصرى استطاعت أن تنسحب غرب القناة لتتحد مع الشعب ولتقاتل الاستعمار البريطانى والاستعمار الفرنسى. وكان هذا - يـا إخـوانى - أول عامل من عوامل النصر.. وكان هذا - يا إخوانى - أول سَبَبٍ من أسـباب النصر؛ سحب قواتنا من سيناء لتنضم إلى قوى الشعب.

واستطاع الاستعمار أن يعلم أن الشعب المـصرى سـيقاتل، وأن الجـيش المصرى سيقاتل، وأن المعلومات التى كانوا يتلقوها، واللى كانت بتقول لهم: إن الشعب المصرى هيرحب بهم كانت معلومات كاذبة؛ مبنية على التضليل، ومبنية على الخداع، ومبنية على معلومات بلغوها بعض أعوان الاستعمار لقاء الأجـر، ولم يكن يهدفون من هذا إلا إرْضاءَ أسيادهم لكى يزيدوا لهم فى الأجر.

وبدأت قوات فرنسا وبريطانيا تهاجم مصر.. كانت قـوات فرنـسا اللـى هاجمت بورسعيد عبارة عن ٣٠ سفينة مقاتلة، ٢ حاملة طـائرات، ٣ أسـاطيل جوية محملة، ٨ سفن مساعدة، ٣٠ سفينة برمائية ومراكب وناقلات بترول، ٥٢ سفينة شحن، ٢٠٠ طائرة، ٩ آلاف عربة، ٣٥ ألف عـسكرى. كانـت قـوات إنجلترا اللى جاية تهاجم مصر - بالإضافة إلى قـوات فرنـسا - ١٠٠ سـفينة حربية، ٤ حاملات طائرات، ٤ غواصات، ٣٠٠ طيارة، ٤٥ ألف عسكرى؛ دى القوات اللى جات ووحلت فى بورسعيد. (تصفيق وهتاف).

أيها المواطنون:

حينما أذيعت أسرار الحملة على مصر، قال أحد الصحفيين الفرنسيين كلام يعبر عن الحقيقة - طبعاً قاله وهو متضرر - تكلم عن معركة بورسعيد، وعن القتال المجيد، وقال: انضم إلى الجنود المصريين رجال البوليس وجنود جـيش التحرير الوطنى، بل لقد كان معهم شُبَّان فى سن ١١، ١٢، ١٣ سنة يحملـون

السلاح. وقال الصحفى الفرنساوى فى كتابه: وكانت الدهشة تذهلُ الإنجليز عندما يجدون أعداءهم القابعين وراء المتاريس - أعداؤهم دول اللى هم احنا - من الشباب فى سن ١٢، ١٣ سنة، وتختلط الدهشة بالإعجاب، وكانت حرب العصابات تشتد وتقسو؛ دا كان العامل الثانى من عوامل النصر.

العامل الأول من عوامل النصر كان انسحاب الجيش المصرى، العامل الثانى من عوامل النصر كان اتحاد الشعب.. شعب واحد تحت السلاح.. الشعب كله تحت السلاح بأبنائه، بأطفاله، بشبابه، سن ١١ سنة و١٢ سنة طلع يقاتل ويدافع عن استقلاله، ويدافع عن حريته، ويدافع عن كرامته. فيه ناس من هؤلاء الشبان يمكن كان بيحملوا السلاح لأول مرة، ولكنهم ما فكّروش إنهم بيحملوا السلاح لأول مرة، كل اللى فكروا فيه إن بلادهم بتهاجم بالاستعمار الفرنسى، بلادهم بتهاجم بالاستعمار البريطانى، وإن عليهم واجب إنهم يدافعوا عن هذه البلد، ويدافعوا عن حرية هذه البلد، ويدافعوا عن كرامة هذه البلد. ودا - يا إخوانى - كان العامل الرئيسى اللى خلّى إنجلترا وفرنسا - اللى كانوا بيعتقدوا إن شعب مصر حيساعدهم - اعتقدوا إن خططهم كلها مبنية على أوهام؛ لأن شعب مصر برجاله ونسائه وشبانه وشيوخه وأطفاله خرج يقاومهم، وخرج يقاتل ويقاتل، وكل فرد منهم أعلن إنه لن يقبل الاستسلام، ولكنه سيدافع عن أرض الوطن لآخر قطرة فى دمه.

دا - يا إخوانى - كان العامل الثانى من عوامل المعركة.. دا - يا إخوانى - كان ذروة الأمجاد اللى مَضَيناها فى العام الماضى.. دى حقيقتكم.. دى حقيقة شعب مصر اللى قاتل على مر الزمن، واللى قاتل على مر التاريخ.. دا شعب مصر الحقيقى اللى قاتل الهكسوس، واللى قاتل الصليبيين، واللى قاتل الغزاة على مر الزمن وعلى مر السنين، ولم يقبل أبداً أن يستكين، كان يصبر.. يصبر إلى حين، ولكنه كان يصبر ليعود فينتفض ليقاتل ويقضى على الطغيان، ويقضى على الاحتلال، ويقضى على الاستعمار. شعب مصر لم يقبل أبداً بالهزيمة، ولم يقبل أبداً الاستكانة، ولكنه كان دائماً يهزم من الداخل.. يهزم من أبنائه، وحينما

اتحد شعب مصر، وحينما آمن بنفسه، وحينما وجد أنه جميعاً يتجه نحو الأهداف الوطنية؛ استطاع أن يحقق الأمجاد التى كان يحققها على مر الزمن.. ويحققها على مر السنين.

هذه - أيها الإخوة - هى مصر الحقيقية.. مصر التى تتمثل فى كل فرد من أبنائها.. مصر التى تتمثل فى التضحية، والتى تتمثل فى البذل، والتى تتمثل فى الفداء.. هذه هى مصر.. مصر التى خلقت واتضحت للعالم أجمع فى العام الماضى.

وهذه - أيها الإخوة - هى الأمجاد التى بُنِيَتْ فى العام الماضى، وهذه - أيها الإخوة - هى الفرصة التى جعلتنا نثق فى أنفسنا، ونثق فى إخواننا، ونثق فى وطننا، ونعتقد أننا إذا استطعنا أن نحصل على الاستقلال؛ فإننا نستطيع أن نحمى هذا الاستقلال. وكانت حرب التحرير.. هذه الحرب التى قمنا بها جنباً إلى جنب فى جميع أنحاء مصر ضد العدوان؛ أكبر دليل على أننا نستطيع أن نثق فى وطننا، ونستطيع أن نثق فى أنفسنا، ونستطيع أن نثق فى إخواننا، ونستطيع أن نحمى استقلالنا على مَرِّ الزمن، وعلى مر السنين.

وبدأ الغزو البريطانى - الفرنسى فى يوم ٥، ٦ نوفمبر، وخرج الشعب كله تحت السلاح ليقاتل. وَصُدِمَ الاستعمار فى بورسعيد حينما وجد الشعب يقاتل جنباً إلى جنب مع الجيش، واعتقدوا أن المعركة ليست ضد فرد أو أفراد، المعركة يعنى مش ضد الحكومة زى ما كانوا متصورين، وأن الحكومة بتعبر عن أمانى وآمال هذا الشعب، وأن المعركة حتكون مع الشعب المصرى كله.

وبدأت الأحوال السياسية تتطور فى جانبنا، ولم ينطل على العالم خداع الاستعمار.. قالوا: إنهم داخلين قوة بوليس ليفصلوا بين مصر وإسرائيل، وإنهم جايين يحموا القنال، ولم يقبل العالم هذا العذر، وكان يعتقد أنهم يقومون بدور القراصنة ولا يقومون بدور البوليس. واستمرت المعركة فى بورسعيد طوال ٥ نوفمبر، وفى ٥ نوفمبر أُعلِنَ الإنذار الروسى لإنجلترا وفرنسا.. ٥ نوفمبر أعلن

الإنذار، ومن كتاب "أسرار الحملة على مصر" – الناس اللى كانوا يعلنوا الشجاعة ويصمموا على العدوان على مصر بقواتهم – من نفس الكتاب بيقول: إن دَبَّ الرعب فى لندن وباريس لأن الحرب الذرية أصبحت على الأبواب.

إذًا، أصبح الأمر مِشْ عدوان على مصر؛ أصبح الأمر يمس العالم بأجمعه، هب الرأى العام العالمى يؤيد مصر، وفى كتاب "أسرار الحملة وأسرار العدوان الثلاثى" قال: إن الذعر دب فى قيادة الحلفاء فى قبرص، وبقوا مش عارفين هل هم حيكونوا مهاجمين ولا حيكونوا مدافعين.

دا الموقف فى يوم ٥ نوفمبر، وفى يوم ٦ نوفمبر قبل الحلفاء إيقاف القتال، وأحب أقول لكم إن الحلفاء يوم ٦ نوفمبر كانوا أشد رغبة فى إيقاف القتال من مصر؛ خططهم كانت انهارت، الحرب الذرية كانت على الأبواب، مقاومة الشعب المصرى أثبتت لهم أن حملتهم فى مصر لن تكون إلا حملة فاشلة، تضامن الشعوب العربية مع مصر، واتساع رقعة القتال فى طول البلاد العربية أثبت لهم أن ميدان القتال لن يكون فى مصر وحدها، انسحاب الجيش المصرى وإنقاذه لقواته أثبت لهم أن المعركة ستكون مريرة بين قوات العدوان وشعب مصر وجيش مصر.

وأنا أستطيع أن أؤكد أن دول العدوان فى يوم ٦ نوفمبر كانت أشد رَغْبَةً فى إيقاف القتال من مصر، وأنهم قبلوا إيقاف القتال لإنقاذ نفسهم ولإنقاذ مصيرهم؛ خططهم كلها انهارت، القوات العظيمة والسفن العديدة والطائرات التى كانت تعد بالمئات لم تستطع أن تحقق لهم النصر اللى كانوا بيرجوه واللى كانوا يتمنوه. وفى يوم ٦ نوفمبر انتهى العدوان على مصر بخيبة كبرى، وبهزيمة سياسية عظمى لدول الاستعمار ولدول العدوان، وانسحبت القوات المعتدية.. انسحبوا بعد كده فى ديسمبر.. فى ٢٢ ديسمبر، وطبعاً ماكانش هناك مفر بعد أن انسحب حماة إسرائيل اللى تآمروا معها.. ماكانش هناك مفر لإسرائيل إلا أن تنسحب، وتعود وراء خطوط الهدنة.

وانتهت الحملة الفاشلة وانتهى اللجوء إلى السلاح بالفشل، ولكن الحقد والكراهية لم تنته، بعد الفشل وبعد الانسحاب؛ بدأ الحقد والكراهية توجه إلينا من العالم الغربى.. نحن لا نستطيع - أيها الإخوة المواطنون - أن ننكر موقف أمريكا فى وقت العدوان واستنكارها للعدوان، وموقفها فى هيئة الأمم مع باقى الدول، ولكن هذا الموقف تغير، واتضح بعد انسحاب إسرائيل أن هناك خطة لأن تحقق الأغراض التى فشلت بريطانيا وفرنسا عن تحقيقها بالعدوان.. كانت هناك خطة لتحقيق هذه الأغراض بالوسائل السلمية؛ بالتجويع، بالضغط الاقتصادى، بمنع القمح عن مصر، ومنع البترول عن مصر، وبكل أسف كانت أمريكا عضو مشترك فى هذه الخطة.

بعد انتهاء العدوان وبعد الانسحاب كان عندنا فى مصر قمح احتياطى لنا لمدة محددة، وكنا نشترى دائماً من أمريكا احتياطى من القمح بالنقد المصرى، وكان المفروض إنهم يبيعوا لنا القمح اللى اتفقنا عليه. بعد انسحاب إنجلترا وفرنسا رفضت أمريكا إنها تبيع لنا القمح، وكان طبعاً الهدف واضح من هذا لنا إن احنا إذا كنا مش حنحصل على قمح وحنصبح فى يوم ما نلاقيش قمح؛ سنقابل مجاعة، وتتحقق أغراض بريطانيا وفرنسا ولكن بوسائل سلمية بدون اللجوء إلى المدفع، وبدون اللجوء إلى العدوان.

ولجأنا إلى أصدقائنا.. لجأنا إلى الدول الأخرى نطلب منها المعونة حتى نستطيع أن نرفع احتياطنا من القمح، واستطعنا أن نكسب معركة التجويع، واستطعنا أن نحقق احتياطى من القمح واحتياطى من البترول، واستطعنا أن ننتصر على معركة الضغط الاقتصادى، وعلى معركة تحقيق الأغراض العدوانية بالوسائل السلمية.

ثم بدأت قصة الفراغ.. قصة الفراغ فى الشرق الأوسط، وبدأت حملة من الدعاية العنيفة ضد مصر فى العالم الغربى، وطبعاً هذه الحملة، سواء كانت عن طريق الصحف أو عن طريق الدعاية، لم تكن تهدف إلا تضليل شعوبهم وأبنائهم.

طبعاً الصهيونية العالمية اللى هى بتسند الاستعمار وبتقوم من خلف الاستعمار، كانت تقوم بدور كبير فى تضليل الشعوب فى أمريكا وفى العالم الغربى بالفلوس اللى بتدفعها للصحف الغربية وللإذاعات ومحطات التليفزيون لتضليل الشعوب الغربية؛ علشان تحقق بها أغراضها.. أغراض الصهيونية العالمية. وبدأت حملة الكراهية وبدأت قصة الفراغ تظهر فى الصحافة.. الفراغ بعد أن انسحبت بريطانيا وفرنسا، وملء الفراغ، ولازم تجىء دولة كبيرة ودولة عظمى تملأ هذا الفراغ. وبدأ بعد هذا يظهر مبدأ "أيزنهاور": أعلن مبدأ "أيزنهاور" فى ٥ يناير، وكان غرضه الظاهر إعطاء المساعدات العسكرية والمساعدات الاقتصادية، ولم تقبل مصر مبدأ "أيزنهاور"؛ لأن احنا لنا سياسة، إذا كان "أيزنهاور" بيعمل سياسة لنفسه، احنا لنا سياسة أعلناها فى باندونج، وأعلناها بعد باندونج.. سياسة مبنية على عدم الانحياز والحياد الإيجابى؛ سياسة مبنية على التعامل مع جميع دول العالم.. سياسة مبنية على التعامل الاقتصادى مع جميع دول العالم. سياسة مبنية على القضاء على احتكار السلاح، وشراء السلاح من أى مكان فى العالم.. سياسة مبنية على الحرية الكاملة، والاستقلال الكامل، وعدم الاعتراف بمناطق النفوذ.. سياسة مبنية على أن الدفاع عن أى منطقة يجب أن ينبثق من داخل المنطقة بدون اشتراك أى من الدول الكبرى؛ لأن اشتراك الدول الصغرى مع الدول الكبرى لن يكون إلا اشتراك الذئب مع الحمل، ولن يستطيع الحمل أن يقف على قدم المساواة مع الذئب.

سياسة الأحلاف كنا بنقاومها، وبدأ مبدأ "أيزنهاور"، وكان من الواضح أن مبدأ "أيزنهاور" يحتوى بالإضافة إلى المساعدات الاقتصادية والمساعدات السياسية، يحتوى على قيود سياسية.

الدول اللى قبلت مبدأ "أيزنهاور" ربطت نفسها - فى البيانات اللى أعلنتها - بالسياسة اللى تقررها وزارة الخارجية الأمريكية فى واشنطن، واحنا سياستنا اللى أعلناها دائماً إن احنا سياستنا تنبع دائماً من مصر ولا تنبع من أى مكان خارج مصر. لهذا لم نقبل هذا المبدأ نظراً للقيود السياسية اللى تكبل أى بلد

تقبله؛ أى بلد تقبل هذا المبدأ لازم تتمشى على طول الخط مع السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

أما بالنسبة للمساعدات الاقتصادية.. احنا قبلنا قبل كِدَا مساعدات اقتصادية فى سنة ٥٥، ووقع بيننا وبين الولايات المتحدة اتفاق بإعطاء مصر ٤٠ مليون دولار مساعدات اقتصادية، وكان مفروض فى سنة ٥٥ ناخد من أمريكا ٤٠ مليون دولار مساعدات اقتصادية.. خدنا منهم ١٨ مليون دولار بس، والـ ٢٢ مليون الباقين ماخدْنَاهُمش، واحنا بندفعهم من ميزانيتنا لتكملة المشاريع اللى أقيمت بناء على هذه المساعدة الاقتصادية.

إذاً موضوع المساعدة الاقتصادية مافيش أمل فيه؛ لأن المساعدة اللى احنا مضينا عليها قبل كدا ما كملتش، بل الأدهى من هذا إن فلوسنا اللى موجودة فى أمريكا مجمدينها! لنا ٣٠ مليون دولار فى أمريكا جمدتهم الحكومة الأمريكية فى سياستها وفى خطتها للضغط على مصر لتقبل السياسة الأمريكية، ولتقبل أن تنطوى تحت السياسة الأمريكية.

طبعاً احنا لم نقبل هذا الضغط، ولن نقبل هذا الضغط، والـ ٣٠ مليون دولار عندهم فى بنوك أمريكا، واحنا النهارده لأول مرة فى الخمس سنين – برغم الضغط اللى وقع علينا من إنجلترا وفرنسا وبريطانيا – لأول مرة فى الخمس سنين عندنا زيادة.. عندنا فائض فى النقد الأجنبى، يعنى هذه الحملة وهذا العدوان كان خير وبركة لنا؛ لأن احنا استطعنا أن ننظم تجارتنا الخارجية، ونوقف استيراد الكماليات، ونبنى تجارتنا الخارجية على أساس سليم يهدف إلى مصلحة الشعب.. مصلحة الصناعة فى مصر، ومصلحة العامل فى مصر، لأول مرة فى الخمس سنين.

السنة اللى فاتت كان عندنا ٤٠ مليون أو أكتر من ٤٠ مليون جنيه عجز، السنة دى – بعد العدوان – عندنا ٦ مليون جنيه ونص فائض.. مش عجز، دا

برغم أن أموالنا مجمدة فى بريطانيا، وبرغم أن أموالنا مجمدة فى أمريكا، ودا طبعاً يعود إلى وعى الشعب، وإلى صمود الشعب.

مرت علينا أوقات عصيبة لم يجد الشعب فيها كل ما يطلبه، ولكن الشعب الواعى كان دائماً يقدر الظروف، وكان دائماً يعمل على أن ينتصر.. بفضل هذا الوعى استطعنا أن ننتصر فى العدوان، واستطعنا أن ننتصر أيضاً فى معركة التجويع، وفى معركة الضغط الاقتصادى.

إذاً مصر لم تقبل هذا المبدأ – مبدأ "أيزنهاور" – وصممت على أن تسير فى سياستها الحرة المستقلة، وأعلنت.. وأنا أعلنت فى تصريحاتى للصحف الأمريكية أن هذا المبدأ هو عبارة عن قيود سياسية تقيد بها الدول العربية، وأن هذا المبدأ هو تكملة لحلف بغداد خصوصاً بعد أن انضمت الولايات المتحدة انضماماً سافراً إلى حلف بغداد.

بدأت حملة الكراهية وحرب الأعصاب، وبدأت الخطة الأمريكية اللى أعلنوا عنها؛ وهى اللى تمثل الغزو من الداخل.. أو بمعنى أصح تحقيق الأهداف من الداخل. خطة جديدة بدأت تأخذ سبيلها فى العالم العربى وفى البلاد العربية، وبدأت المقدمات؛ بدأت الصحف الأمريكية تتكلم عن عزل مصر عن العالم العربى، وعن فصل مصر عن العالم العربى، وقالوا بصراحة: إن العدو أو الخطر الداهم فى منطقة الشرق الأوسط مش الشيوعية الدولية – زى ما بيقولوا رسمياً – ولكنها القومية العربية. وقالوا بصراحة – الصحفيين الأمريكيين – إن هدفهم هو القضاء على هذه القومية العربية؛ اللى هى بتنبت بذورها من المحيط الأطلسى إلى الخليج الفارسى، واللى تمثل خطر على مناطق النفوذ وعلى مصالح الدول الغربية فى منطقة الشرق الأوسط. واتضحت المعركة وأصبحت المعركة سافرة، وإن الشيوعية الدولية اللى بيتكلموا عليها لم تكن إلا العذر، والشيوعية الدولية لم تكن إلا السبب اللى يؤخذ للتدخل، وإلى تنفيذ الخطط اللى عملت من أجل عزل مصر عن باقى الدول العربية، وللعمل على إثارة القلاقل وإثارة المتاعب فى الدول العربية.

بدأت حملات الكراهية فى الصحف، وبدأت الحرب الباردة وحرب الأعصاب فى الإذاعات. كلنا نعرف إن فيه إذاعات سرية بتوجه إلى مصر، هذه الإذاعات بتوجه من قُبْرُص؛ يعنى من إنجلترا ومن فرنسا. هذه الإذاعات بتتبع طبعاً طريقة الدعاية السوداء اللى هى الأكاذيب، وطبعاً فى تقديرى واللى شفته إن ماحدش كان بيصدق هذه الإذاعات؛ لأن كل واحد منكم وكل واحد من أبناء مصر كان بيعتقد إن الإذاعات دى لا تقصد جمال عبد الناصر، هدفها كل فرد منكم.. هدفها إنها تسيطر عليكم وتضعكم فى مناطق النفوذ، وتضعكم تحت السيطرة والاستعمار والاستغلال، وتضعكم تحت سيطرة الدول الاستعمارية، وفى مناطق نفوذ الدول الكبرى.

كل واحد منكم كان متسلح بالوعى.. كل واحد منكم كان بيستمع إلى هذه الإذاعات كان بيعرف إنه هو الهدف منها، ولم يكن الهدف جمال عبد الناصر ولا إخْوان جمال عبد الناصر.. كان الهدف كل فرد منكم.. الهدف الأساسى هو شعب مصر، وحرية مصر، واستقلال مصر، وكرامة مصر، وقوة مصر، التقدم اللى بتسير فيه مصر، وبذلك هزمت هذه الدعايات.

بعد تأميم القناة بسبع أيام فى العام الماضى، بدأت الإذاعات السرية ضد مصر – تسع محطات إذاعة – بيتكلموا بالليل وبالنهار وهم فاهمين إنهم حيقدروا يستغفلونا، وحيقدروا يضحكوا على عقولنا، وحيقدروا ياخدوا من أبناء مصر حلفاء لهم ضد مصلحة مصر، وضد إرادة مصر، وضد حرية مصر، وضد كيان مصر، وضد ثورة مصر.

ولم يقتصر الأمر على هذا الحال؛ بدأت هذه الحملة من الكراهية تنتشر فى الدول العربية بواسطة مكاتب الاستعمار وتنظيمات الاستعمار.. بدأت حملة من الصور الكاريكاتيرية تُوَزَّعُ فى لبنان وسوريا والعراق، وتُرسَلُ إلى السودان والسعودية، وكانت هذه الصور ترسل إلينا هنا فى مصر بواسطة العرب الأحرار، وينبهونا ويقولوا لنا: شوفوا الاستعمار بيعمل إيه.

إذًا الوعى مَاكَانْش هنا بس، الوعى كان فى جميع أنحاء الأمة العربية.. الوعى كان فى كل مكان، الوعى كان يعلم خطط الاستعمار.. العرب اللى عاشروا الاستعمار مدة طويلة وعرفوا أساليبه، وعرفوا أهدافه، وعرفوا ما يريده بهم، وعرفوا إيه اللى بيته لفلسطين من سنة ١٧.. الاستعمار اللى وعد العرب بالاستقلال سنة ١٧، اللى وعدهم بالحرية ووعدهم بإقامة دول مستقلة كان فى نفس الوقت بِيدِّى وعد "بلفور"، بيدى فلسطين لليهود.

دا الاستعمار.. الاستعمار مش غريب علينا.. الاستعمار زى ما بنعرفه فى مصر بيعرفوه فى الأردن وفى لبنان وفى سوريا وفى العراق وفى كل مكان، بيعرفوا إيه ألاعيب الاستعمار وإيه خطط الاستعمار، بيكشفوا دعايات الاستعمار.. بيكشفوا أساليب الاستعمار.. بيكشفوا إذاعات الاستعمار وبيكشفوا منشورات الاستعمار، وبيكشفوا أيضاً الخطط والحكايات اللى بيلفقها الاستعمار.

لم يقتصر الأمر إلى هذا الحد؛ الجرايد المصرية زُوِّرَتْ؛ مجلة روزاليوسف المصرية؛ اتعملت مجلة شبه روزاليوسف تماماً بتتوزع فى كل أنحاء العالم العربى، وبتتوزع فى نيويورك أيضاً على وفود الدول العربية. المجلات المصرية أو الجرائد المصرية الفرنسية بتتزور وبتنطبع، طبعاً بتنطبع بواسطة الفلوس والدولارات والإمكانيات الكبيرة وتتوزع على كل مكان، وفيها معلومات مزورة ومعلومات كاذبة ضد مصر، وضد القومية العربية، وضد الأهداف اللى بتهدف إليها القومية العربية.

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد؛ زورت وثائق.. زَوَّرُوا وثيقة وقعت باسم القائد العام للقوات المسلحة وبيان خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الضباط المصريين، وطلعوا كلام كله كذب فى كذب، ونشرته إحدى الصحف فى العراق، وبالتالى نشرته جميع صحف الاستعمار اللى بتتكتب بالعربى فى الشرق الأوسط. وبالتالى احنا ما بنكذبش؛ لأن مافيش داعى أبداً إن احنا نكذب.. احنا بنعتمد فى هذا على وعى مصر وعلى وعى الشعوب العربية، وإن احنا نعتبر إن وعى مصر وإن وعى الشعوب العربية أكبر وأعظم من أساليب الاستعمار،

وإن وعى مصر ووعى الشعوب العربية سيهزم أساليب الاستعمار، وإن وعى مصر ووعى الشعوب العربية هو سبيلنا إلى النصر، وسبيلنا إلى هزيمة أساليب الاستعمار التى تريد أن تسيطر علينا وتضعنا تحت الذل والاستعباد.

دى - يا إخوانى - الأساليب اللى ماشية لتحقيق الأهداف اللى قامت بها بريطانيا وفرنسا، بس الفرق إن بريطانيا وفرنسا كانوا عايزين يحققوا هذه الأهداف بالحرب، وإخواننا دول عايزين يحققوها بالوسائل السلمية من الداخل بالتضليل، بالخداع، بالدعاية، بالحرب الباردة، بالتجويع بالضغط الاقتصادى، وبالتآمر والمؤامرات، بالقضاء على الروح الوطنية والقضاء على فكرة القومية العربية. هدفهم فى هذا إيه؟ هدفهم فى هذا السيطرة على الشرق الأوسط، عزل مصر، إدخال باقى الدول العربية تحت سيطرة الاستعمار وفى مناطق النفوذ، بعد كدا الاستفراد بينا وبأى دولة أخرى تقاوم معانا، ثم تصفية قضية فلسطين من أجل مصلحة إسرائيل، طبعاً لا يمكن للاستعمار اللى بِتِسْنِدُه الصهيونية العالمية إنه يصفى قضية فلسطين من أجل مصلحة العرب، وإلّا كان ساعد على حلها من زمان.

إن الاستعمار يهدف إلى تصفية قضية فلسطين من أجل مصلحة إسرائيل، وهو يعتمد فى هذا على أعوان الاستعمار فى البلاد العربية.. يعتمد فى هذا على الخونة العرب اللى اعتمد عليهم سنة ٤٨. كلنا نفتكر سنة ٤٨ دخلنا نحارب فى فلسطين، وكان الجيش المصرى يحارب جنباً إلى جنب مع باقى الجيوش العربية، وكلنا نعرف إيه الفضايح اللى حصلت سنة ٤٨. كلنا نعرف إيه اللى حصل فى اللِّد والرَّمْلة، وكيف تركت إسرائيل ليفتح لها الطريق حتى تهجم على مصر، وحتى يواجه الجيش المصرى وحده قوات إسرائيل. وكانت الجيوش العربية الأخرى فى هذا الوقت طبعاً تتلقى أوامر من إخواننا اللى كانوا بيتآمروا مع الاستعمار؛ لأن الاستعمار كان بيحمى الصهيونية العالمية. وفى أخر الحرب وقف الجيش المصرى يقابل الجيش الإسرائيلى، أما باقى القوات لم تأخذ مكان فى المعركة، كلنا نعرف كيف حُوصِرَت قوات من الجيش المصرى فى

الفالوجا، كلنا نعرف ازاى اجتمع القادة العرب وقرروا إنقاذ هذه القوات فى الفالوجا، ولكن الجيش السورى كان هو الجيش الوحيد اللى وصل للخليل علشان ينفِّذ هذا الكلام. (تصفيق).

أما باقى الجيوش العربية ماكانتش مشتركة فى المعركة؛ الجيش السعودى كان موجود مع الجيش المصرى فى الجبهة المصرية، الجيش السورى توجَّه إلى الجبهة لينفذ خطته، أما باقى الجيوش فلم تصلها أوامر.. لم تصلها أوامر؛ لأن الأوامر ما جَاتْش من إنجلترا، لأن إنجلترا هى كانت صاحبة السلطة العُلْيا، وإنجلترا هى كانت صاحبة السلطة الكبرى، وإنجلترا هى اللى بتملى الخطط وبتملى الأوامر.

دا - يا إخوانى - الفرق بين الاستقلال والفرق بين الاستعباد.. دا الفرق بين البلد اللى بتملى سياستها من داخلها والبلد اللى بتيجى لها سياستها من الخارج.

احنا النهارده لا يمكن أن ننسى ما حدث فى سنة ١٩٤٨، واحنا إذا كنا بننادى بالتضامن العربى، وبنعتبر إن التضامن العربى هو سبيلنا، احنا لا نقبل أن يكون التضامن العربى فى خدمة الاستعمار، أو فى خدمة أهداف الاستعمار، واللى يَقْبل التضامن العربى فى خدمة الاستعمار أو فى خدمة أعوان الاستعمار أو فى خدمة أهداف الاستعمار يعتبر خائن.. خائن لبلده، وخائن لقضيته، وخائن لعروبته، وخائن لقضية القومية العربية. ولهذا احنا بننادى أما بنلاقى فيه انحراف بنقول فيه انحراف.. فيه انحراف عن القومية العربية، وبنعلن رأينا بصراحة وبنعلن رأينا بشجاعة لأن احنا بنعتبر إن احنا بهذا بنوقظ الوعى فى الشعوب العربية.. بنوقظ الوعى فيكم، ونقول لكم: فين الخطر وفين الصواب علشان ما تتكررش مأساة ٤٨.. علشان ما نَتْفِقْش ندخل نحارب وبعدين تتخلى بعض الجيوش حتى تقع الجيوش الأخرى فى المأساة، وحتى تلاقى الجيوش الأخرى المعركة، وحتى تكون الجيوش الأخرى وجهاً إلى وجه، وحدها أمام جيوش إسرائيل.

ولهذا احنا حينما ننادى بالقومية العربية، وحينما ننادى بالتضامن العربى إنما نهدف إلى القومية العربية الحقيقية الحرة المستقلة التى تنبعث من المنطقة، التى تنبعث من ضمير أبنائها. والتى تنبعث من أهداف أبنائها، ولكنا - أيها الإخوة المواطنون - لن نقبل أبداً بأى حال من الأحوال أن نشترك فى أى تضامن عربى لنخدم خطط الاستعمار أو لنحقق أهداف الاستعمار؛ ولهذا فاحنا حنستمر مدة طويلة بدون تحقيق التضامن العربى. إن احنا لن نتضامن مع الخونة، ولن نتضامن مع المنحرفين، ولن نتضامن مع اللى فرَّطوا فى بلدهم، ولن نتضامن مع اللى باعوا بلدهم للاستعمار، ولكنا - أيها الإخوة المواطنون - ونحن نعتقد أننا بهذا إنما نعبر عن القومية العربية كلها، فى كل مكان وفى كل بلد عربى، إننا بهذا إنما نعبر عن الآمال الكبار فى كل وطن عربى وفى كل أرض عربية وفى كل بقعة عربية، إننا بهذا نُعبِّر عن الروح العربية الحقيقية التى كانت تهدف دائماً إلى الحرية وإلى الاستقلال.. الروح العربية اللى قامت فى الحرب العالمية الأولى تقاتل من أجل الاستقلال.. من أجل استقلال الشام؛ سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ومن أجل استقلال الدول العربية، السعودية ومصر، قاموا وقاتلوا جنباً إلى جنب مع الإنجليز من أجل الاستقلال.. وبعد هذا حينما نكس الإنجليز بوعودهم قاتلوا برضه.. قاتلوا فى كل مكان من أجل الاستقلال.. قاتلت الشعوب العربية وقاتلت القيادات العربية الحرة أيضاً، واستشهد منها من استشهد.

إننا بهذا - أيها الإخوة المواطنون - نعبر عن هذه الروح.. روح إخواننا وآبائنا وأجدادنا اللى استشهدوا على مر الزمن فى سبيل الاستقلال الحقيقى، ولمقاومة الاستعمار، ولمقاومة مناطق النفوذ. واحنا النهارده بنعبر عن هذا؛ لنا إخوان فى الجزائر بيقاتلوا وبيستشهد منهم كل يوم أفراد فى سبيل حريتهم وفى سبيل استقلالهم.

هؤلاء الإخوة العرب بيقاتلوا فرنسا، وسلاح حلف الأطلنطى، والمساعدات الأمريكية، والدول الغربية كلها، ولكنهم لم يستكينوا، بيقاتلوا وبيدافعوا عن نفسهم

ضد الأساليب الوحشية، وضد الوسائل العدوانية اللى بتستخدم ضد المدنيين من الرجال والنساء، وأين ضمير العالم الغربى بالنسبة لما يحدث فى الجزائر؟ ضمير العالم الغربى ساكت مَا بْيدْخُلْشِ معركة، بينتصروا على ضميرهم أما تكون المعركة فى الجزائر. ولكن احنا العرب بنعتبر إن الواجب الرئيسى علينا إن احنا نسند إخواننا فى الجَزائر؛ لأنهم منا.. من دمنا، جزء منا وجزء من قوميتنا، وإن إخواننا فى الجزاير ما بيطالبوش إلا بحقهم فى الحرية والحياة.. حق تقرير المصير اللى قررته الأمم المتحدة، واللى أعلنته الدول الكبرى بعد الحرب العالمية التانية.

النهارده فيه حرب أخرى فى عمان، الأخبار بتقول: إن ثوار عمان ضربوا بالصواريخ وضربوا بالقنابل، تعرفوا ثوار عمان دول أصلهم إيه؟ فى سنة ٥٥ كان فيه إمارة عمان، وكان على رأس هذه الإمارة الإمام غالب اللى هو إمام عمان، وكانت دولة مستقلة. وفجأة دخلوا الإنجليز خَدوا عمان سُكيتى - وطبعاً وكالات الأنباء بتاعتهم ما طلعتش الأنباء خالص؛ لأن طبعاً بيداروا على هذا زى ما بيداروا على كل اللى بيحصل فى أواسط إفريقيا - واحتلوا عمان وطردوا سلطان عمان. أما قاموا أهل عمان يطالبوا بحقهم، ويطالبوا بأنهم يعودوا إلى وَضْعِهم المستقل اللى كانوا فيه سنة ٥٥ قبل الهجوم البريطانى، بَقُوا ثوار وبَقِتْ مقاومة الثوار؛ بقى أهل الجزائر فى بلدهم ثوار وأهل عمان فى بلدهم ثوار، والإنجليز والفرنساويين هنا وهنا هم أصحاب أرض، وهم أصحاب القومية العربية فى عمان وفى الجزائر.

كل اللى أقدر أقوله - أيها الإخوة - إن احنا فى هذه الانتصارات، وفى هذه المعركة سننتصر - بإذن الله، وبعون الله - لأن القومية العربية بقت فى نفس كل عربى.. فى إمارة عمان فيه قومية عربية، وفى قطر، وفى كل مكان فيه قومية عربية من المحيط الأطلسى إلى الخليج الفارسى.. لن تستطيع الدولارات إنها تقضى على القومية العربية، ولن تستطيع المؤامرات إنها تقضى على القومية العربية، ولن تستطيع وسائل الخِداعِ وَالتَّضليل إنها تقضى على القومية

العربية. وما بنخافش من جرايدهم، يكتبوا زى ما يكتبوا، ويقولوا زى ما يقولوا، الأول كنا بنعتبر هذا الموضوع ليه أهمية وكُنّا بنراعيه، لكن الأخر وجدنا إن الخداع والتضليل وصل إلى الحقد والكراهية إلى حد العداوة والبَغْضاء، وأصبح من الضرورى ومن اللازم إن احنا نهمل هذه الحملة ونعرف نحدد مين هم أعداؤنا ومين هم أصدقاؤنا. وما هو الكلام اللى بيكتب فى الجرايد.. ما بقيناش نعمل له حساب، وما بقيناش نعمل له اعتبار.

قبل عُدْوان إنجلترا على مصر كانت الصحافة البريطانية مليانة بالأكاذيب، أى حادثة تحصل فى أى مكان من العالم؛ العناوين فى الجرايد: عبد الناصر يدبر مؤامرة فين. وجبت الصحفيين الإنجليز وقلت لهم يا ناس دا كلام مش معقول! لا يمكن لأى إنسان إنه يبقى عنده القوة على هذا التنظيم، وأنتم بهذا بتضللوا بلدكم وبتضللوا شعبكم. طبعاً كان غرضهم يبثوا الكراهية ويبثوا الحقد، كان غرضهم العدوان وقاموا بالعدوان، إيه اللى حصل بعد العدوان؟ مصر طالعة من العدوان أكبر مما كانت، وإنجلترا طالعة من العدوان تقابل أزمة مالية واضطرابات، وباعت الأسطول البريطانى بعد الحرب وبعد عدوانها على السويس.

إذًا العدوان لم ينتج، والعالم النهارده بقى عالم متصل، العالم النهارده بقى يحس بكل حدث يحدث فى أى مكان منه، الضمير العالمى النهارده ما بَقاش حِكْر على أوروبا وأمريكا؛ فيه الضمير العالمى الآسيوى، وفيه الضمير العالمى الإفريقى. الضمير العالمى فى آسيا، والضمير العالمى فى إفريقيا اللى ساندنا قدام العدوان ووقف وَشَدَّ من أَزْرِنا، دا لازم يتعمل له حساب. آسيا النهارده بتاخد مكانها فى العالم وإفريقيا أيضاً بتاخد مكانها فى العالم، ما بقاش بيهمنا اللى بيتكتب فى أوروبا، وما بقاش يهمنا الكلام اللى بتقوله الدول الاستعمارية والصحافة الاستعمارية، واللى بتمولها الصهيونية العالمية.

هذه – أيها الإخوة المواطنون – هى خطة الاستعمار العدوانى ضد القومية العربية..

عَزْل مصر، وأنا قلت إنهم ما بيعزلوش مصر، ولكنهم بيعزلوا الساسة اللى بيقبلوا إنهم يكونوا أعوان للاستعمار، بيعزلوهم عن شعوبهم، أما الشعب العربى كله فلن يعزل عن الشعب العربى فى مصر، الشعب العربى فى أى مكان بيحس بنفس الأحاسيس اللى احنا بنحس بها.

النقطة التانية هى الغزو من الداخل والتضليل والدعايات، وبعدين بث الوَقيعة بين العرب وبَعْضِيهم، بين قادة العرب، وطبعاً الوثائق المزورة، وهم يستطيعوا إنهم يعملوا وثائق مزورة بمحاولة إثارة الفتنة بين الملكيات والجمهوريات، وإنهم يتكلموا عند الملكيات على إن مصر بتسعى ضد هذه الملكيات، ودا كلام طبعاً لا نصيب له من الصحة. واستطاعوا بهذا أن يحققوا بعض الانتصارات، لكن كل اللى خَدُوه فى جَنْبُهم هم أعوان الاستعمار، أما الشعب العربى فهو يؤمن بعروبته ويؤمن بقوميته، وسيستمر يؤمن زى ما كان يؤمن بها على مر السنين من سنة ١٧، وحارب.. حارب الخيانة فى حرب فلسطين، وانتصر على الخيانة بعد حرب فلسطين، وأثبت وجوده بعد حرب فلسطين، ولم يغفر للخيانة اللى قامت فى حرب فلسطين، حيحارب الخيانة، وحينتصر على الخيانة، وقد يسكت ولكنه لم يغفر لها بِأَىّ حال من الأحوال.

دا يا إخوانى أعوان الاستعمار.. وقتهم فات وانتهى، كان زمان أعوان الاستعمار بيعتمدوا على قوات الاحتلال.. بيعتمدوا على السفارة البريطانية – وأنتم عارفينهم هنا فى مصر – وكان منهم فى كل البلاد، النهارده انتهى وقت أعوان الاستعمار، العالم والرأى العام بيشعر بنفسه وبيشعر بقوته.

الكلام اللى بنقوله هنا فى مصر بيكون له رد فعل فى كل مكان، الكلام اللى بيحصل فى أى مكان بيكون له رد فعل هنا، كل شعب النهارده عايز يشعر بكرامته وبحريته وباستقلاله. أعوان الاستعمار عمرهم قصير، قد يستطيعوا أن يعمروا بعض الوقت ولكن لن يكون لهم الدوام مُطْلَقاً، الدوام للشعوب.. هى الشعوب اللى بتبقى على مرّ الزمن، هى الشعوب اللى بتحيا، لن يستطيع أى فرد

إنه يقضى على الشعوب، ولكن تستطيع الشعوب إنها تقضى على أعوان الاستعمار؛ دا اللى حصل دائماً ودَا اللى حصل فى كل وقت وفى كل زمان.

أيها الإخوة المواطنون:

الاستقلال مش سهل، والحرية مش سهلة، الاستقلال الاقتصادى مش سهل، كونك تحس إنك فى بلدك، وإن البلد دى بتاعتك، وبتاعتك وَحْدَك كِدا، وتمشى فيها وتشعر بعزتك وكرامتك مش سهل.

ولهذا احنا دخلنا معارك طويلة فى الخمس سنين اللى فاتت، مش احنا بس.. المعارك دى دخلتها القومية العربية فى كل مكان. لازالت بعض البلاد العربية تقاوم أعوان الاستعمار، وتقاوم الصحافة اللى اشتريتها الاستعمار، بتقاوم الناس اللى يبيعوا بلدهم بتمن بخس بالدولار وبالفلوس، بتقاوم أعوان الاستعمار اللى بيتآمروا عليهم وعلى حياتهم وعلى مصيرهم، المعركة مستمرة، المعركة مستديمة استمرار الزمن واستدامة الحياة.. هذه هى المعركة اللى تحتاج من كل فرد منكم إلى وعى وإلى إطلاع، وإلى أن يكون على بَيْنةٍ من أمره ومن أمر وطنه؛ حتى يستطيع أن يقاوم قوى الشر.. يستطيع أن يقاوم الضلال وقوى الاستعمار.. يستطيع أن يقاوم حرب الأعصاب، والحرب الباردة، وحرب الدعايات وحرب وكالات الأنباء وحرب الصحافة الأجنبية، وحرب التزوير وحرب التضليل، ويستطيع أيضاً أن يقاوم المؤامرات التى يهدفون بها إلى أن يتغلبوا على القيادات الوطنية ليقيموا قيادات خائنة، قيادات استعمارية. إذا تغلبوا أو إذا استطاعوا أن يقضوا على قيادة وطنية، فستستطيعون بالوعى وتمسككم بحقكم فى الحياة أن تقيموا قيادة وطنية، وأنا أعلم أن الشعب الواعى لن يسمح لأى قيادة خائنة وأى قيادة تعمل للاستعمار أن تقيم بين ربوعه، وأن تقيم بين أراضيه.

احنا خمس سنين دقنا فيهم الحرية وعرفنا طعم الحياة، قاومنا وقاتلنا، حصل جلاء مرتين، وحصل حرب؛ حصل حرب فى القنال، وحصل حرب فى

بورسعيد، وحَصَلْ حَرْب فى سينا، وهجموا علينا دولتين عظام ودولة إسرائيل، وقابلنا عداوة العالم الغربى كلها، قابلنا حرب الأعصاب من الغرب؛ من أمريكا وفلوس أمريكا، يعنى شفنا فى الخمس سنين دول اللى مش ممكن نشوف أكتر منه، وانتصرنا بعون الله، وانتصرنا بحمد الله إذاً وحسينا إيه الحرية. حسينا بالجلاء مش مرة واحدة، كنا بنتمنى جلاء واحد فَرَبّنا إدّانا فى سنة واحدة مرتين الجلاء؛ المرة الأولى والمرة التانية بعد ٤ أشهر، شفنا الجلاء بالمفاوضات وشفنا الجلاء بالقتال. شفنا كل حاجة افتقدناها فى الـ ٨٠ سنة اللى فاتت فى خمس سنين بعد كده، وعرفنا إيه قيمة شعبنا، وإيه أمجاد شعبنا. عرفنا وشفنا أولاد عندهم ١١ سنة بيطلعوا يقاتلوا ويستشهدوا، وشفنا نساء بيطلعوا يموتوا، وشفنا الكهول، وشُفْنا الشعب كله تخلص من الأنانية، وتخلص من الفردية، وأصبحت روح الجماعة هى الروح اللى مسيطرة علينا.

إذاً لن تنفع المؤامرات أو الاغتيالات فى إنها تأخذ برقاب هذا الشعب مرة أخرى؛ لأن هذا الشعب لن يقبل. وهذه الثورة كانوا فَاكْرِينْها دائماً إنها ثورة فرد أو أفراد، ولكنى كنت أقول دائماً: إن هذه الثورة ثورة شعب، وإن الثورة اللى احنا قمنا بها سنة ٥٢ ماكانتش أول ثورة.. ماكانتش أول عمل بالقوة، الشعب قام فى وقت عرابى وقاتل؛ وقاتل الخديوى، وقاتل الإنجليز.. قاتل هنا فى الإسكندرية وقاتل الغزو، وقاتل فى التل الكبير. الشعب قام قبل كدا سنة ١٨٠٧ أيام حملة "فريزر" وقاتل وهزم "فريزر"، و"فريزر" سلم. وأما جاء "نابليون" هنا الشعب قام وقاتل وماستطاعش... "نابليون" قعد ٣ سنين وما قدرش يكمل ومشى، والجيش الفرنساوى اللى كان هنا فى مصر ما قدرش يكمل تقدمه. الصليبيين.. "لويس التاسع" سنة ١٢٤٠ جا فى دمياط بحملة صليبية من كل دول أوروبا، ودخل ونزل فى دمياط وتقدم على المنصورة، وهزم وأسر وترك بفدية.. مبلغ من المال.

إذًا الشعب المصرى دائماً بيعرف حريته، وبيعرف حقه فى الحرية، وماكانش مستكين أبداً ولكنه كان يقاتل دائماً، وأمّا كان يغلب على أمره أو يهزم، كان بيسكت إلى حين ولكنه يقاتل.

فى أيامنا احنا فى سنة ٣٠ فى هذا الميدان وأنا طالب طلعنا قاتلنا فى سبيل الدستور وفى سبيل الحرية وفى سبيل الاستقلال، فى سنة ٣٦ فى القاهرة طلعنا نقاتل فى سبيل الحرية وفى سبيل الدستور وفى سبيل الاستقلال، فى كل وقت كان هذا الشعب بيقاتل ولم يستكين، كان يغلب على أمره ولكنه مَاكَانْشِ بيستكين. وأنا النهارده باقول لأعوان الاستعمار وباقول للاستعمار نفسه ومؤامراته: إنه لن يستطيع أن يغلب هذا الشعب؛ لأن هذه الثورة ليست ثورة فرد أو أفراد ولكنها ثورة شعب؛ شعب كان بيطالب دائماً بحقه فى الحرية والحياة، وشعب كان بيُغْلَب دائماً على أمره بواسطة بعض أفراد منه سيطروا عليه واستغلوه، وشعب كان يفتقد الاتحاد وعرف ميزة الاتحاد، وحقق فى الاتحاد فى خمس سنين ما لم يستطع أن يحققه على مر السنين وعلى مر الأيام، شعب لن يتخلى عن اتحاده ولن يتخلى عن تآزره، ولن يتخلى عن هذه القوى الكامنة التى ظهرت فيه، شعب سيصمم على أن يسير دائماً بحكومة وطنية تعمل من أجله، وتعمل سياستها فى القاهرة ولا تستهدف سياستها من الخارج.

إذًا احنا جميعاً نعرف من هم أعداؤنا، ونعرف أساليبهم، ونستطيع أن نكشف دعايتهم ووسائلهم؛ إذاعاتهم السرية، أنباءهم المُضَلِّلة، الوثائق اللى بيزيِّفُوها، القصص اللى بيقولوها؛ لأن هدفهم إيه؟! عايزين مننا إيه هم؟! مش عايزين مننا حاجة إلا إنهم ييجوا يسيطروا علينا ويجعلونا تحت أمرهم، ويخلوا سياستنا سياسة تابعة لهم، يبقى احنا مالناش شغلة هنا فى مصر إلا تيجى لنا تعليمات من العواصم الكبرى علشان ننفذها، ومافيش داعى أبداً نعمل لنفسنا سياسة أو يكون لنا شخصية دولية أو كيان دولى؛ دى أهداف الاستعمار. الأهداف الأخرى إنه يسيطر على اقتصادنا ومواردنا.. مواردنا الطبيعية؛

البترول، اليورانيوم، المواد الطبيعية اللى موجودة فى هذه المنطقة عايز يسيطر عليها ويستغلها ليحقق المكاسب لنفسه.

احنا استطعنا بفضل العدوان إن احنا نِمَصَّر الاقتصاد المصرى، ونخلى الاقتصاد المصرى ملك لأبنائه، ويعمل من أجل مصلحة الشعب المصرى. واستطعنا إن احنا نخرج فى سنة ١٩٥٧ محققين استقلال سياسى واستقلال اقتصادى، وإن كل فرد مننا، وكل فرد من هذا الشعب حيعض على هذا الاستقلال بالنواجذ، وسيدافع عنه بكل ما يملك؛ بالدماء وبالأرواح لأن دا سبيلنا الوحيد علشان نبنى بلدنا وعلشان نخلق لأولادنا عيشة سعيدة.. عيشة يجدوا فيها الحياة، عيشة يجدوا فيها العمل، عيشة يجدوا فيها الأكل. المساعدات عمرها ما أقامت فى أى بلد مجتمع سليم، مافيش مساعدات بتروح لأى بلد علشان مصانع أو علشان زيادة الإنتاج، واحنا - يا إخوانى - لن نستطيع أبداً أن نرفع من مستوانا إلا بزيادة الإنتاج وإلا بالعمل، ولن نستطيع أن نعمل ونزيد الإنتاج إلا إذا كان اقتصادنا مصرى، ومصرى خالص، ويعمل من أجل مصر، وإلا إذا كنا مُتَّحِدينَ اتحاد كامل، وكلنا بنعمل فى سبيل تحقيق الأهداف الستة اللى بينت فى مقدمة الدستور.

الأهداف الستة كل واحد فينا يعرفها؛ أساسها القضاء على الاستعمار وأعوان الاستعمار. إذا قضينا على الاستعمار ولم نمكن لأعوان الاستعمار من أن يقوموا بيننا، فلن يستطيع الاستعمار أبداً إنه يثبت أقدامه فى هذا البلد، ولو جاب ٣٠ مركب و٣٠٠ طيارة زى ما جابوا عند بورسعيد، و٣٥ ألف عسكرى - إلى أخر القوات اللى جابوها - لن يستطيع؛ لأن أعوان الاستعمار ليس لهم وجود فى هذه الأرض ليمكنوا لهم منها، ولهذا انهزمت هذه القوات.

النهارده ونحن نحارب هذه المعركة نتجه إلى المستقبل لنحقق أهداف الثورة، النهارده فى هذه الأيام بدأنا فى تحقيق الهدف السادس من أهداف الثورة؛ وهو إقامة حياة ديمقراطية سليمة.. تمت الانتخابات، انتخبتم ممثليكم.. ناس دخلت الانتخابات ونجحت، ناس دخلت الانتخابات وما نجحتش، ولكن كل اللى

نرجوه إن معركة الانتخابات ما تؤثرش على وحدة هذا الشعب. كلنا كنا داخلين معركة الانتخابات لندعم ثورتنا وندعم أهدافنا.. فيه ناس نجحت وناس لم يقدر لها أن تنجح، ولكن الكل كانوا بيهدفوا إلى الأهداف اللى بنؤمن بها، مايكونش هذه المعركة سبيل إلى الإقلال من وحدة البلد أو إعطاء الاستعمار منفذ علشان يدخل منه.

زى ما أنا قلت لكم إن احنا استطعنا فى الخمس سنين اللى فاتت بفضل اتحادنا وبفضل وعينا إن احنا نصد كل البلاوى اللى جات لنا، وإن شاء الله نحافظ على هذا الاتحاد. كلنا إخوة، كلنا بنهدف لمصلحة الوطن، مافيش حد أبداً بيهدف لمصلحة شخصية، كل واحد داخل علشان يخدم الشعب ويخدم أهداف الشعب ويحقق لك آمالك، ويعمل على أن تسير الحياة فى هذا الوطن مستقيمة، وألا يكون هناك أى انحراف يحرف الثورة. انتهت المعركة، كلنا إخوة نتصافح، كلنا إخوة ونتصافى برضه علشان هذا الشعب، وعلشان خدمة هذا الشعب، وعلشان مصلحة هذا الشعب.

فى خمس سنين الآن ندخل معركة الانتخابات التانية، يبقى بعد كدا بَرُضُه ندخل الانتخابات بشجاعة وبرجولة وبشرف، وهدفنا برضه خدمة هذا الشعب وخدمة أهداف هذا الشعب، وتدعيم هذه الثورة وتثبيت هذه الثورة، والعمل على إقامة مجتمع تسوده الرفاهية وزيادة الإنتاج، استقلال سياسى، استقلال اقتصادى.

إذاً كل ما أرجوه إن معركة الانتخابات لا تتولد عنها هذه الحزازات، ولكن بالعكس لازم نكون أشد قوة وأشد اتحاد؛ لأن معركتنا لم تنته، ولازال أعداؤنا يتربصوا بنا علشان يسيطروا علينا وعلشان يخضعونا تانى لسيطرتهم زى ما أخضعونا مئات السنين.

فى معركة الانتخابات ظهرت اتجاهات، كلنا لازم نعرف إيه هذه الاتجاهات وإيه مصلحتنا. ظهر اتجاه يمينى، وكان بيشكك فى عملية التمصير، وكان بيقول: إن احنا كمصريين لن نستطيع إن احنا نقوم باقتصادنا بنفسنا، ومش

حنقدر أبداً نمشى فى طريقنا إلا معتمدين على الأجانب. وطبعاً أثبتت الأيام إن هذا الاتجاه اتجاه خاطئ، وإن احنا كمصريين عندنا القدرة إن احنا نعمل أى شىء؛ استطعنا إن احنا نمشى قناة السويس ونسير فيها الملاحة فى الوقت اللى كانوا بيقولوا: لا يمكن للمصريين إنهم يسيروا قنال السويس، استطعنا إن احنا نمشى الاقتصاد ونمشى البنوك ونمشى الشركات الممصرة، ولكن الفرق بين دلوقت والفرق بين الأول إنها الأول كانت بتمشى بأوامر من الخارج، والنهارده بتمشى تَبَعَ أهداف الثورة وأهداف مصر، تمشى لمصلحتك ولمصلحة أخوك، بتعمل لمصلحة هذا الشعب كمجموعة.

طبعاً اللى كانوا بينادوا بهذه الاتجاهات اليمينية يمكن كانوا هم بيدافعوا عن مصالحهم الشخصية؛ لأنهم كانوا بيستفيدوا دائماً من هذه المؤسسات، وكانت هذه المؤسسات بتديهم مكافآت علشان تكسب تأييدهم.

وظهرت فى أثناء المعركة اتجاهات يسارية؛ ظهرت اتجاهات من أجل تحديد الملكية وتحديد الأرض مرة تانية، ومن أجل الاستيلاء على رأس المال الوطنى وبعض الصناعات المصرية. وأنا غير موافق على هذه الاتجاهات؛ لأن احنا كثورة اجتماعية وكثورة سياسية لازم نعمل على أن يكون الشعب كله متناسق ومتفق بجميع طبقاته.

النهارده احنا حددنا الملكية بـ ٢٠٠ فدان، تظهر اتجاهات من أجل تحديد الملكية بخمسين فدان، بدل ما ننادى بهذه الاتجاهات، احنا ننادى بزيادة الأرض المزروعة. احنا فى تحديد الملكية كنا بنقضى على الإقطاع، وكان هدفنا من القضاء على الإقطاع تحرير الفرد، وكان هدفنا من تحرير الفرد إقامة حياة ديمقراطية؛ الفرد يشعر إن عيشه سليم، ويشعر إنه مطمئن على مستقبله. وأعتقد إن هذه الانتخابات أثبتت لكم إن كل فرد كان مطمئن على مستقبله، كل واحد دخل قال صوته بسرية وطبق الورقة وحطّها فى الصندوق، ماحدش هُدِّدَ فى حريته، وماحدش هدد فى رزقه، وأثبتت هذه الانتخابات إن الشعب يستطيع أن ينتخب من يريد بدون النظر إلى الفوارق وبدون النظر إلى الطبقات.

طبعاً رأس المال الوطنى.. احنا يهمنا أن نحافظ على رأس المال الوطنى.. رأس المال الوطنى دا بتاعى وبتاعك وبتاع كل واحد عنده قرش فى هذه البلـد. احنا هدفنا تنمية رأس المال الوطنى، ولكنا نتبع سياسة رأس المال الموجه؛ رأس المال - زى ما قال الدستور - يستخدم فى خدمـة الـشعب ولا يـستخدم فـى أغراض تضر بمصالح الشعب، ولكن الاتجاهات اللى طلعت بأن احنا نـستولى على رأس المال الوطنى أو نستولى على المؤسسات الوطنية؛ هذه لا تمشى مع أهدافنا.

احنا قلنا دائماً إن احنا بنهدف إلى مجتمع تعـاونى، تتعـاون فيـه جميـع الطبقات، كل طبقة تعمل على إنها تحسن مستواها، وتعمل على إنها تكون لهـا حقوقها وفى نفس الوقت تقوم بواجباتها. واحنا قلنا إن هذه الثورة مش ملك طبقة من الطبقات، ولكن هذه الثورة ملك للشعب كله بجميع طبقاته. هذه الثورة اللِّـى قامت علشان تقضى على الاستغلال وتقضى على الانتهازية، لا يمكن أن تقضى على الاستغلال وتقضى على الانتهازية إلا إذا قام فيها مجتمع تعاونى يتعـاون فيه الجميع.. يتعاون العامل مع صاحب العمل، ويتعاون الفلاح فى أرضه مـع أخوه، تقوم جمعيات تعاونية للفلاحين علشان يقدروا يقوموا بعملهم، كل واحـد بيبحث عن مصلحة نفسه وفى نفس الوقت بيبحث عن مصلحة أخوه.

هذا هو السبيل - أيها الإخوة - إن احنا نقيم حياة ديمقراطية سليمة؛ اللـى هو الهدف السادس من أهداف الثورة. ودا السبب اللى احنا من أجله أقمنا الاتحاد القومى، وقلنا إن المواطنين بيكونوا الاتحاد القومى من أجل بناء هـذا الـوطن سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.. احنا مرت بنا خمس سنين لغاية دلوقـت.. لـسه بنحتاج إلى تدعيم علشان نقضى على الانتهازية. الثورة لن تنتهى بإقامة الحيـاة الديمقراطية السليمة، ولكن أنا باعتبر إن إقامة الحياة الديمقراطية هـى تـدعيم للثورة، تدعيم للقاعدة، وانتخبتوا ناس علشان تكون هناك قيادات أخرى.. قيادات من بينكم، قيادات واعية تشعر بمشاعركم وتشعر بأهدافكم، هذه القيادات هى قوة لنا، وقوة للثورة، وقوة لكم وقوة لأهدافكم.

احنا باستمرار كنا بنقول: نقدر نبنى زى ما احنا عايزين نبنى، ولكن أنا قلت فى السنة اللى فاتت أمَّا أعلنت إقامة الانتخابات: إن احنا هذه الانتخابات عايزينها.. عايزين ناس منكم يطلعوا يتولوا القيادات، عايزين نحس إن مافيش فراغ على المستويات المختلفة بين القيادة وبين الشعب، عايزين نحس إن كل واحد منكم بيزُق ناس يحملهم الأمانة علشان يطلعوا القيادة، وعلشان يشوفهم ويراقبهم، وبعدين كل واحد فيكم حيحكم عليهم وحيدفع المحسن منهم إلى الأمام وحيشجعه. وكل ما تزيد القيادات عندنا فى البلد.. كل ما يزيد الأفراد الواعين والأفراد القياديين نكون دعمنا هذه الثورة، ونكون ثبتنا جذورها فى الأرض.

إذًا إقامة الحياة الديمقراطية ليست نهاية الثورة، ولكنها تدعيم للثورة وتثبيت لجذورها؛ النواب اللى انتم انتخبتوهم يمثلوا قيادات ظهرت من بينكم علشان تلعب أدوار مجيدة فى حياة هذا الشعب، منهم يكون القيادة على مَرِّ الزمن، ونواب حيطلعوا على مَرِّ السنين ليتولوا القيادة وليرفعوا العلم، وعلشان يعملوا دائماً من أجل إقامة حياة ترفرف عليها الرفاهية.

النهارده هدفنا.. هدفنا أن نسير بثورتنا للبناء الداخلى، وزى ما قلت لكم فى الخطاب اللى سمعتوه فى افتتاح مجلس الأمة: إن احنا عايزين نسعى إلى البناء، قدامنا مشكلتين: الأكل؛ كل سنة عايزين نوكل ٣٠٠ ألف زيادة.. كل سنة بنزيد ٣٠٠ ألف، وطبعاً العمل علشان نوجد هذا الأكل.

دى السياسة فى المستقبل، السياسة مش مُهاتَرات ومش كلام.. السياسة عمل وبناء، إنتاج وخدمات، أكل لـ ٣٠٠ ألف فرد زيادة كل سنة، عمل لـ ١٠٠ ألف عامل زيادة كل سنة. دا يحتاج منا إلى تشجيع رأس المال الوطنى، يحتاج منا إلى تعاون بين الطبقات؛ بين العامل وصاحب العمل، بين المزارعين، بين العمال والمزارع، يحتاج منا إلى جِدّ مستمر وكَدّ مستمر، علشان ندعم الانتصارات والمكاسب اللى احنا حققناها.

دا السبيل الوحيد حتى لا تكون سيطرة لطبقة على طبقة. الحمد لله فى الفترة اللى فاتت كان فيه باستمرار تعاون بين العمال وصاحب العمل، فى المستقبل حيكون فيه تعاون؛ بيحلوا مشاكلهم لوحدهم، كل واحد بيفكر بمستوى البلد، فيه تعاون فى الريف، وبنسير فى توسيع هذا التعاون. الاتحاد القومى بيجمع المواطنين جميعاً بأفكارهم المختلفة، لا يمكن طبعاً إن احنا نفرض جمود على الأفكار، كل واحد بيفكر.. كل واحد حر فى تفكيره، لا نستطيع أن نقوم التفكير بالإدارة أو بالقوة، ولكنا نقوم التفكير بالتفكير ونقوم الفكرة بالفكرة، احنا النهارده بنهدف إلى توسيع هذه الديمقراطية علشان نستطيع أن نعمل ونستطيع أن نبنى.

النهارده الاتحاد القومى بيجمع المواطنين جميعاً، ولا نهدف من هذا إلى الجمود، ولكننا نهدف إلى التفكير والتطور فى التفكير. التفكير الطبقى، مابنقولش ولو أن فيه تعاون بين الطبقات، لكن بَرْضُه لازم يكون فيه تفكير طبقى؛ لأن العامل برضه حيفكر ازاى يرفع نفسه والفلاح بيفكر يرفع نفسه، ولكن تفكير طبقى بناء، مش تفكير طبقى هَدَّام مبنى على اليأس ومبنى على الحقد، تفكير طبقى مبنى على مصلحة المجتمع كمجتمع ومصلحة البلد كبلد ومصلحة الطبقة كطبقة، مع مراعاة الظروف اللى بنقابلها، وزى ما قلت لكم: الوطن ملك لكل أبنائه.

كلنا سنعمل لتحقيق الأهداف اللى بنسعى إليها، وزى ما قلت فى خطابى الماضى: سياستنا واضحة؛ اتحاد.. لازم نكون متحدين؛ اتحاد كامل علشان نستطيع أن نحافظ على الانتصارات، وعلشان نستطيع أن نبنى ونخلق عمل لـ ١٠٠ ألف عامل كل سنة.

وعدم انحياز فى سياستنا.. لن نكون ديل لكتلة من الكتل، لا لكتلة شرقية أو لكتلة غربية، سياستنا بتنبع من بلدنا، سياستنا بتنبع من مصلحتنا، سياستنا بتنبع من ضميرنا، سياستنا تهدف إلى مصلحة هذا الشعب، وإلى رفع مستوى معيشة هذا الشعب، وإلى إقامة مجتمع ترفرف عليه الرفاهية.

النقطة التالتة: سياستنا مبنية على القومية العربية؛ لأن القومية العربية هـــى سلاح لكل دولة عربية وإن القومية العربية هى سلاح يستخدم ضد العدوان، وإن المعتدى لازم يعرف إن مصالحه - إذا اعتدى على أى دولة عربية، أو على أى بلد عربى - ستهدد فى جميع البلاد العربية.

بهذا - أيها الإخوة المواطنون - نستطيع أن نسير قُدُماً إلى الأمـــام لنبنـــى مصر.. مصر العزيزة مصر المستقلة، مصر المجيدة، ولنبنى مجتمع ترفـــرف عليه السعادة والرفاهية، ولنبنى المصانع، ولنشيد للمستقبل لأبنائنا ولنقيم لهم حياة رَغدِة، ولنقيم عمل لعمالنا، ولنوجد طعام لأبنائنا اللى بيُستَجدُوا علينا كل ســـنة. بهذا نستطيع أن نحقق الأهداف اللى قامت من أجلها الثورة، ودا يحتاج لكل فرد مننا أن يعمل عمل مجد لنُعَوِّض ما فات، وعلشان نقوم بدورنا بالنسبة للمستقبل، ودا سبيلنا الوحيد للمحافظة على استقلالنا والمحافظة على حريتنـــا والمحافظـــة على كرامتنا. وفقكم الله.

والسلام عليكم ورحمة الله.